الجحيم في عينيه

«إيني ميني ماييني مو»

(من سيبقى، من سيرحل، ومن سيلقى عليه اللوم!)

بقلم

أشواق مخضور الجدعاني

حمى الخيال تجتاح جسدي

تسرقني من عالمي الحي

لا هي تخليني فأعقل..

ولا أنا أعالجها فأشفى!

أشواق المختار

الفصل الأول

«إيني ميني ماينى مو»

من سيبقى، من سيرحل، ومن سيلقى عليه اللوم؟

«جوش»، أشعر بنظرات السيدة أليسون تتصيدني، أظنها على وشك أن تأمرني بأن أتحرك من مقري المريح هنا في آخر الصف؛ لأذهب إلى المقدمة، مواجها عشرين طالبًا وطالبة، يا له من مشوار ثقيل لأتلو كلمات مكررة عن تاريخ العالم المجيد، الدكتاتور «ألفريد داش» المخيف وهزيمته المحققة على يد الأبطال المحاربون، من حسن حظي أنني لا أذكر شيئا من الماضي على عكس زملائي الذين عايشوا كل ثانية سيئة من ذلك الزمان، أُخبرت تلك الليلة التي انتهى فيها حكمه بأني فقدت ذاكرتي بالكامل، انتحارًا قام به والدي بسبب الحياة الصعبة التي سببها الدكتاتوري لشعوب العالم، لو تأخرنا ليلة فقط لكنا جميعا اليوم بخير، يا له من ماضٍ غريب يسخر مني بأغرب توقيت انتحار، لا أحد يعلم إن كنت قد وافقتهم في عملية الانتحار الجماعي أم لا، أبقيا محرك السيارة يعمل بصمت في المرآب وذلك سبب انتشار غاز أول أكسيد الكربون في بقية أنحاء المنزل مما قتلهم بهدوء، قالوا بأن والدتي أرادت توديعي، دخلت علي وهي في نصف وعيها، سمعوا بكائها على الهاتف وهي تهون علي مصيبة الموت: لا تقلق يا بُني القوي سيكون الأمر سريعا ومسالما، لم يسمعوا صوتي فقد كنت غائبا عن الوعي بعد أن احتفظت بالهاتف في حجري، فقط أنفاسا تحارب للحياة، في الحقيقة أنا أعتقد أن والدتي هي من اتصلت على الشرطة، ودست الهاتف في حجري، أنا اؤمن بأن غريزة الأم هي الأقوى في حمايتها لأبنائها، وإن ظنت أن الموت هو الخيار الأفضل لهم فستقوم

بتوفيره لهم وبأريح وسيلة ممكنة، لكن ولسبب ما والدتي غيرت رأيها، تراجعت عن قرارها لسبب ما، ورأت لي مستقبل في هذا العالم، لكنها الآن ميتة، ولن أعرف أبدا لمَ أنا حي، حقا لا أهتم لذلك السبب بقدر ما أهتم لنهاية هذا العام الدراسي المقيت،كما أنني لا أتذكر أني حزنت عليهم فأنا لا أتذكر ملامحهم آو أصواتهم، لا شيء على الاطلاق فهم بالنسبة لي فراغ، كيف للمرء أن يحزن على غرباء؟ ربما هي نعمة، ربما فقدان ذاكرتي هي طريقة جسدي في حمايته لي.

تقطع تفكيري السيدة «أليسون»:

- سيد جوش هلا تلوت لنا تاريخ الدكتاتور ألفريد داش.

أوف هذه المعلمة لا تمل من مضايقتي، في كل حصة ومن بين عشرون طالب تختارني دوما، عجوز شمطاء نحيلة كعود، متجعدة كحبات الزبيب، صوتها يخدش طبلة أذني كلما فتحت فمها المقرف، أقفل كتابي من أمامي، وأمشي بخطوات متوترة نحو مقدمة الصف، تبدأ يداي بالارتعاش فأدخلها في جيوب معطفي الأسود محاولا إخفاء رهبتي المتزايدة، ينتبه لتوتري أحد المتنمرين «ماكس فورد» شاب ضخم الجثة، أحمر الشعر، عيناه بنيتن ضيقتان، فيصيح دون خوف من معلمتنا: - جبان.

ثم يقلد بحمق صوت الدجاجة.

-بق بق باااق.

يقهقه بقية زملائي بينما أنا أوجه نظري إلى معلمتي بحنق علها أن تفعل شيئا، لكنها تبتسم بخبث وتقول بلهجة وجدتها مستفزة لي: - ماكس تحلى بالهدوء إذا سمحت.

نعم ماكس ابلع لسانك الطويل هذا واسكت، بالطبع لم أتفوه بهذه الكلمات فقط

في عقلي تدور و تدور حتى تصيبني بالغضب، أصل لمقدمة الصف وأستدير لأقابل جمهوري الساخر فقط نظرة واحدة عليهم ثم أسمر عيناي بالأرض أنطق بصوت متحشرج: - بدأ الأمر في مدينة لوس أنجلس...

تقاطعني المعلمة بصوتها المرتفع تنظر إلي مشمئزة مني كما لو أنها ترى جبن متعفن أمامها، لا أفهم لمَ هي تحقد، كل ما أعرفه هو أنها متنمرة أخرى تجد في شخصي فرصة لتفريغ غضبها: - سيد يانغ أرجوك توقف عن الهمس وتحدث كرجل.

أكرهك أيتها العجوز البغيضة، أفضل تناول الدود الحي على النظر إلى وجهك القبيح، لكني أيضا أحتفظ برأيي لنفسي، وبدلا عن الإدلاء به أخذ نفسا طويلا ثم أرفع صوتي بصعوبة مكملا ما بدأته: - نشأت عصابة في أطراف المدينة برئاسة الدكتاتور ألفريد داش الذي كان قاسيا، أنانيا، متوحشا، لم يطرف له رمش حين أتباعه عذبوا الرجال وقتلوا النساء والأطفال، سيطر على قوات الدفاع وتمكن من التحكم بالقنابل النووية في الدول المنتجة لها عبر مجموعة عباقرة في علم الاختراق، أباد ستة من أكبر عواصم العالم، بعدها أعلن تهديده، وأخضع دول العالم تحت قبضته، وبينما يمثل العالم دور الضعيف له دس المئات من الجواسيس في منظمته، ولم يتوفق أحد في اغتياله إلا بعد خمسة وعشرون عامًا من الظلم على يد الجاسوسة الألمانية المناضلة أديل، والتي قتلت فور نجاحها، لكنها خلصت العالم من حكم الدكتاتور الذي أباد وسرق ما كان يحلوا له، انتهت فترة طغيانه بحرق جثته ونثرها في الستة العواصم الذي أبادها ليكون عبرة لمن تسول له نفسه باغتصاب العالم الحر.

أنهيت المقال وهممت بالرجوع إلى موضعي إلا أن معلمتي تذمرت بصوتها الذي يثير التقزز في داخلي:

- سيد يانج هل سمحت لك بالرجوع إلى مقعدك؟

أحاول السيطرة على أنفاسي المتسارعة بغضب، غضب شديد، أعيد شعري الأسود إلى الوراء بيدي المرتجفة، لكنني أفشل في ضبط أعصابي، أجدني أصرخ عليها، وأطلق طاقة غضبي المستعرة على وجهها: - ماذا تريدين مني؟

أحببت النظرة المرتعبة من وجهها المتجعد، النظرة التي سببها صوتي، لكنني سرعان ما شعرت بالذنب وبوقوعي في ورطة أخرى بسبب فقداني سيطرتي على نفسي فهدأت وبدأت بالاعتذار رغبة مني في التخلص من معضلتي المستقبلية.

- أنا آسف.. لم أقصد.. فقدت نفسي لثانية.

لكنها هي تحولت أيضا من هدوءها وخوفها الساكن إلى ملامح انتقام شرسة تضمر الشر لي

- اذهب إلى المدير الآن.

ستتصل بالمدير لتشكوا له الحال مع إضافة أحداث أخرى خيالية تستمدها من بغضها لي، انسحبت بهدوء من الصف المستهزئ بي، ماذا يمكنك أن تفعل حينما تكون مكروها من الجميع بلا سبب منطقي، فأنا لست بشعا بل إنني أستطيع تمييز نظرات الإعجاب من فتيات المدرسة، نعم إنها مقرونة بالبغض والحقد اللامنطقي لكنها لا زالت واضحة، ربما لأنني أتحدث بوتيرة سريعة كأحمق مختل، أو ربما لأنني كدت أنظم لعملية انتحار جماعي، ولمَ أفكر في مجتمع مختل؟ أنا أضيع وقتي هنا، يوما ما سأهرب بعيدا عن هذه الحفرة القذرة وسأذهب لمكان لا يعرفني فيه أحد، فقط على أن أجمع ما يكفي من المال لتزوير هوية جديدة بماض أبيض، سمعت أنه في عصر ألفريد داش الإعدام هو جزاء مخالفات الدرجة الأولى والثانية والتزوير من ضمنها،

أما الآن فالأمور أفضل حالا.

ربما لن أسجن حتى وإن كشف أمري، فالنظام الجديد منشغل بتطبيق وتحديث القوانين الجديدة، طرقت ثلاثا على باب المدير جورج، فصدر صوته من خلف الباب:

- ادخل.

فتحت الباب بتردد، فأنا معترض على الجو الكئيب الذي سيدخلني فيه هجومه الكلامي المحطم، أجلس على الكرسي الحديدي الذي يقابل مكتبه، ينتهي السيد جورج من توقيع عدة أوراق رسمية، ثم يرفع وجهه المربع الغريب إليّ من الجيد أن جبهته العريضة يغطيها شعره البني ليخفف هذا من شدة قبحه: -لماذا أنت مجددا، ألا تمل من الفشل يا سيد جوش.

أردت الحديث للدفاع عن نفسي فأسرعت بالنطق:

- لكنها..

لم يعطني الفرصة، لا أحد هنا يفعل، فيقاطعني رافعا نبرة صوته تدريجا حتى أصبح منفعلا بشدة محمر الوجه، يصرخ في وجهي بوتيرة متسارعة: - ألا يكفي أنك عار على هذه المدرسة، لمَ لا تعود إلى الجحر الذي زحفت منه؟

لا يحق له قول هذه الكلمات لي مهما بلغت مصيبتي التي يزعمون بأمرها هو أو غيره فرفعت صوتي أنا الآخر:

- وكيف فعلت هذا، ألا تخبرني، أنرني إن استطعت، أعطني سببًا وجيهًا واحدًا يؤيد مقولتك.

عدت إلى الخلف لأسيطر على انفعالي بينما انشغل المدير في البحلقة بورقة فارغة،

عيناه المحمرتان لا تركزان على موضع منها، بل إنها تدور في أطرافها وكأنه سيحرقها بعينيه.

رفع نظره إلى موضع الوشم الأسود الذي يقبع خلف أذني اليمنى، كل من يراه يتجنبني إما خوفا وإما احتقارا، لذا أطلت شعري فقط لأخفيه، لكنه لا يبدو محجوبا عن مديري فأرتبك وأحاول إخفاءه جيدا بتوجيه شعري عليه، وأخفي عيني المتوترة بيدي الأخرى ناظرا إلى الأسفل.

قال المدير بخفوت:

- لا أحتمل رؤيتك هنا، اذهب إلى المشرفة الاجتماعية:

ليته يريحني، ويفصح لي بالسبب الذي يزدريني الجميع له، لعلي اقتنع بمدى سوئي، لن اعترض إن كنت حقا سيئا، فقط علي أن أعرف الحقيقة.

تمسكت بطرف مقعدي معاندا، وقلت بهدوء بعد أن أخرجت الهواء الحار من رئتي:

- فقط أخبرني لماذا؟

لكنه يعود بنظره إلى أوراقه الرخيصة، ويقول محتقرا لوجودي، بلهجة كارهة:

- اغرب عن وجهي.

بقيت لثلاث ثوان في مقعدي، ثم استطعت بصعوبة القيام منه، استدرت وغادرت وكلي تساؤلات عما يدور في رأسه، ترى ما الذي فعلته لهم كي استحق كل هذا البغض، الحقد، الكراهية، برأيي لا نحتاج إلى أسباب لنحب أو نحترم في المجتمع إنها الفطرة، لكن الحقد لا يبنى من فراغ، فعل أو قول أو حتى ماضٍ غريب أجهله.

الآنسة «فايولت غيلبرت» هي الوحيدة في هذه المدرسة التي تحترمني، تبهجني

فكرة اجتماعي بها في غرفة واحدة، لا أسيطر على خطواتي المتسارعة إليها، أحتاج إليها، رؤيتها ستزيل عني بضع من استيائي، وبقيته سيختفي حين استمع لصوتها، أقف بالفعل أمام مكتبها المقفل أستمع لكلماتها المنفعلة: - أنا حقا لم أرى عيبا واحدا في السيد جوش، لو كانت السيدة أليسون تعطيه فرصا عادلة كبقية زملاءه لكان هادئا، أنا أفهم ما تطلبه مني لكنني أختلف معك بالكامل... حسنا إلى اللقاء.

لا أستطيع منع ابتسامتي من الظهور على وجهي، كيف أحزن وهناك من يدافع عني بشراسة ضد المدرسة بكاملها، قد تكون فتاة ضئيلة الحجم لكنها قوية، وتملك لسانا صريحا، أطرق الباب ثلاثا كعادتي: تفتحه لي بنفسها، تبدو راقية وهي ترتدي فستانها الأخضر الذي تحبه، أعلم بأنها تحبه لأنها تبدو أكثر حيوية وسعادة حينما ترتديه، تشير إلى مقعدها كعادتها لكنني أرفض بلطف.

- لا أمانع في الجلوس على المقعد الحديدي.

لكنها تدفعني إلى المقعد الجلدي وتقول بوجه بشوش:

- ألا يكفي أنكم تجلسون على هذه المقاعد المزعجة طوال اليوم، أنا أجد أنه من الأفضل أن تريح ظهرك على مسند طري بدلا عن هذه الخردة القديمة.

لا أقدر على مخالفتها، أجلس على المقعد المريح فيما هي تجلس على المقعد الآخر بدون أي انزعاج منها، كيف لتلك المثالية لها أن تتجمع فوق كرسي قديم متهالك.

تسترخي على ظهر المقعد وعلى وجهها ابتسامة جذابة تأسرني فيضيع عالمي، تسأل بصوتها المزين ببحة لطيفة تزيد من عنفوان أنوثتها قوة وتأثيرا.

-والآن ما الذي أتى بك إلى هنا سيدي.

لا أريد أن أرد عليها فقط السكوت والنظر إلى وجهها كاف بالنسبة لي لأزيل عناء أسبوع كامل من سوء التعامل الذي أتعرض له، أجيبها بعد أن ضاقت عيناها وكأنها سأمت صمتي: - أنا حقا لا أريد التحدث بالأمر.

- إذن لنتحدث في موضوع أنت تختاره.

أحتار في اختيار موضوع، ليس أمامها على أيةِ حال، فأنا أشعر بأن غبائي يتضاعف مئة مرة حين تكون هي بالجوار، لحسن الحظ أتذكر هوسها الشديد بزيارة إيطاليا، فأقول: - هل أصبحت قادرة على السفر إلى إيطاليا؟

توهج وجهها بضي الحماس، لم تتردد في الحديث ثانية واحدة:

- أوه نابولي يا جوش أصبحتُ قريبة جدا من موطئ قدميّ، أكاد أشم هواءها المشبع بنكهة البيتزا الشهية، قريبا يا جوش في إجازة هذا الصيف سأقضي أسبوعا كاملا في نابولي، سأتناول البيتزا على الفطور والغداء والعشاء.

سكتت لبرهة، أحسست خلالها بندمها لفقدانها السيطرة على هدوؤها، أحب هذا فيها على الرغم من أنها تحاول جاهدة أن تبدو أكثر نضجًا مني، إلا أنها تنسى نفسها على الدوام أحيانا غاضبة وأحيانا أخرى مبتهجة ومرات أخرى باكية، لكنها نادرة جدا مرة واحدة في الحقيقة وذلك كان بسبب الضرب القاسي الذي تعرضت له على يد فريق كرة القدم السنة الماضية، لم أرها تبكي لكن عيناها المنتفختان والمحمرتان كانتا كفيلتان بفضح أمرها، عالجت الأمر كسيدة ناضجة، لم أتعرض بعدها لضرب مماثل، على أية حال فرق الخمس سنوات بيننا لا يعطيها الفرصة لتنجو من فخ التصرف على سجيتها.

- هكذا إذن، لا أعلم لمَ تجعل الحديث يدور عني أنا في كل مرة، أشعر بأنك تعرفني

أكثر مما أنا أعرفك وهذا لا يصح.

- ما الخطأ في الأمر فأنت ما زلتي تحلين كل مشاكلي.

- يسعدني أنك تظن هذا، رغم أنك لا تحدث المشاكل حولك، إنما هي التي تجد طريقها إليك.

اتكأت على المكتب وأنا أحاول التقرب إليها بقدر المستطاع، حدقت بعينيها العسليتين وقلت لها:

- أنا لا أمانع حقا ما دام سينتهي بي المآل هنا.

أرى بوضوح تأثرها بكلماتي، في داخلي هناك إحساس ينتابني بمعرفتها بمشاعري نحوها، كما أنها ترتبك كلما قلت لها كلاما مماثلا، سيكون العالم أفضل لو أنها أحبتني في المقابل، لو أننا نهرب إلى نابولي سويا إلى الأبد سيكون ذاك أسعد يوما في حياتي، مرت دقيقة حتى قالت: - بالطبع أنا أمانع معاملتهم لك بهذه الطريقة، عندما تهضم حقوقنا لا يصح إلا المطالبة بها، فالوقوف جانبا ومراقبة الظلم هو تصرف سلبي أرفض أن يحدث في هذه المدرسة أمام ناظري.

أو ربما يهيأ لي أنها تبادلني مشاعر الحب، ربما هي فقط تنصر المظلوم وتحق الحق، وأنا مجرد قضية إنسانية دسمة بالنسبة لها.

- أريد الذهاب إلى منزلي لن أستطيع أن أكمل يومي المدرسي.

قالت وهي تبتسم متفهمة:

- بالطبع.

قامت من مكانها وتوجهت إلي، وقفت عن يميني ويدها تطيش على مكتبها، أصابعها

تزيد بعثرة الأوراق المتناثرة قشعريرة لذيذة تغمرني حين تلامس يدها النحيلة الباردة يدي لا تعيرها هي اهتماما، لكنها تشعل بداخلي الرغبة بالمزيد، تجد القلم وتأخذ أقرب ورقة عليها شعار مدرستنا، وتخط عليها كلمات غير مفهومة، ناولتني الورقة وهي تقول: - أعطي هذه لكل من يعترض طريقك، لن يجرؤ أحد على قراءتها، بل سيبدون كالبلهاء وهم يحاولون ثم سيمثلون، إنهم يفهمون كل شيء ويدعونك ترحل، أنا أعرف غرورهم لن يسمح لهم بالاعتراف بفشلهم.

بطلتي محتالة رائعة، هل هذا يعني أنه علي أن أكون مثلها، استلم منها ورقتي مع نيتي المسبقة بالاحتفاظ بها لنفسي، سيكون تذكارًا لطيفا يذكرني بها حين أغادر حفرة الجحيم هذه، توقفني فايولت قبل أن أعبر الباب بتربيتة رقيقة على كتفي، فأستدير وأواجهها، تقول بشيء من القلق: - أنا أعرفك يا جوش، لن تتجول في الأنحاء اتفقنا؟ إلى المنزل مباشرة.

أطمئنها بابتسامة صغيرة:

- بالطبع آنستي.

تركتها هناك وفي جعبتي الكثير من الأفكار لأنتقم لنفسي من أليسون العجوز وجورج اللعين، بحرق سيارتهما؟ لا إنها مبالغة في الانتقام ربما علي كسر البيض الفاسد داخلها، نعم إنها ليست بالفكرة الضارة، سيقودان بسيارتين عفنتين إلى الأبد وسيتعلمان درسًا مفيدًا لحياتهما الفارغة، لكنني سرعان ما أتراجع عن أفكاري، أنا لست مثلهم، أنا أفضل منهم، سأكون عضوًا فعالًا في مجتمعي، ليس في هذه القرية بالتأكيد، لكن في مكان آخر يتقبل فيه الجميع بعضهم البعض، دون أحكام سلبية وظنون سيئة، مكان أتمكن فيه من بناء مستقبلي بسلام.

من الجيد أنهما في عملهما، لو علموا بأمري لثارت عاصفة من الغضب حولي، كيف وقعت في فخ التبني لوالدان آسيويان، بالطبع سيكونان مهتمان بدراستي أكثر من أكلي وشربي وإن تمكنوا لربما تحكموا في عدد أنفاسي، فقط لو يعود بي الزمان لاخترت والدان من جماعة الهيبي لكان ذلك أكثر استرخاءً لي، لكن لسوء حظي الزمان لا يعود والأموات لا يبعثون حتى تبدأ الحياة الأخرى، لا بأس بهما كرفيقي سكن، هما نظيفان جدا ولطيفان للغاية، حازمان في تطبيق قوانينهما التي اعتدت عليها، لا أعلم لمَ أنا أتذمر، إنهما بالفعل محبان لي وأنا بدأت أن أعتاد عليهما، لنرى ماذا يوجد على الثلاجة من تعليمات اليوم، أريد الانتهاء منها حتى أعود لغرفتي وأنهي واجباتي، أسحب الورقة البيضاء مكتوب عليها بخط أنيق (جز العشب، ترتيب غرفتك) رائع فقط اثنتان، سأنهيها في ساعة.

صباح اليوم التالي ...

أتأكد من واجباتي عدة مرات، آخر ما أبتغيه هو أن أمنح المعلمين فرصة لتوبيخي، الكل يتمنى أن أقع، أن أتهور، لينفث غضبه علي، لكن لا لست أنا من يجعل أمر إهانتي سهلا لألسنتهم.

- هيا يا جوش سنتأخر على المدرسة.

- قادم الآن أمي.

أخرج من غرفتي الضيقة إلى الطابق الأول حيث الصالة، منزلنا ليس بالواسع لكنه مستقل، طابقان مع حديقة أمامية وأخرى خلفية، غرفة والداي هي الأوسع ثم تليها غرفتي التي لا تتسع إلا لسريري و مكتبي، ما يميز منزلنا هو طريقة تأثيثهم له، هم لا يكدسون شيئا، ولا يشترون غرضا حتى يتأكدون من مدى استحقاقيته لشغل

حيزا ما في المكان، نعم منزلنا صغير لكن عصري وعملي، إنه يناسبني، تنتظرني والدتي بالتبني السيدة تسونامي ستتم الأربعين من عمرها في الشهر القادم، لا تزال ترتدي لباسها الخاص بالهرولة، لا أعلم كيف تقوم بذلك، أن تهرول مبكرا و تترك سريرها المريح، هي تكره أن أناديها باسمها لذا أناديها بأمي، أجدها تبتسم بهدوء.

– خذ معك شطيرة الفول السوداني تناولها في الطريق.

أسبقها إلى الخارج متجاهلا الشطيرة فأراها بطرف عيناي تعترض بمط شفتيها مستاءة،

أدور وابتسم علها تسامحني.

– حقا أمي لست جائعا.

تهز رأسها بالنفي وتتبعني ليست راضية لكنها لن تصر أكثر، أدخل سيارتنا الميني كوبر الزرقاء، وتجلس أمي بجاني، أسترخي على المقعد، إنها الدقائق الأخيرة الهادئة التي سأحظى بها في الساعات القليلة القادمة.

تختلط مشاعري، كم سأرغب بلمحة من فايولت، لكن هذا يعني أن على أن أمر بما كل هو سيء في مدرستي حتى أصل إلى مكتبها.

نتوقف أمام ساحة المدرسة، أستعد للترجل لكن والدتي تتمسك بذراعي

– هل ستكون بخير؟ أعني أنت تمتلك خيارك للدراسة في المنزل، أنت فتى ذكي وأنا ووالدك سنساعدك في شرح الدروس التي تصعب عليك.

– لا حقا أمي، أنا سعيد الآن لا توجد أية مشاكل، أتمنى لك يوغا ممتعة.

غادرت السيارة قبل أن تقول شيئا آخر، و دعتها بإشارة من يدي لتغادر المدرسة،

شعرت بارتياح كبير لأنها رحلت قبل أن تشهد أي حادث يمر بي، و إلا سأجبر حينها على ترك المدرسة، وعندها لن تكون لي فرصة لرؤية الآنسة فايولت، فقط لو كانت تعلم ما الذي أمر به لإبقاء خط التواصل بيننا لفزت بقلبها أو ربما ستفزع وتفر مني إلى مكان بعيد جدا من هنا، النتائج للأسف ليست متوقعة وإلا لكنت قد قررت مصارحتها منذ عدة أشهر، على أية حال ليس من القانوني نشوء علاقة بيننا مهما كان فارق العمر ضئيل، قوانين سخيفة قريبا لن يكون لها معنى، حين أهرب من هنا سأكون قادرا على مصارحتها، وعندها الخيار سيكون في يدها، أنتبه على ماكس و أربعة من زملائه العمالقة في الفريق، إنهم لا ينوُون خيرا، أتعرف على شرارة الخبث في عيناه من على بعد ميل، إنهم يقفون على الباب الرئيسي للثانوية، يفصلنا خمسة أمتار سأتمكن من تجنبهم إن التفت يسارا ودخلت من أحد أبواب الطوارئ واتجهت مباشرة نحو الفصل، أطبق خطتي وكدت أتنفس الصعداء حين صعدت درجتان ضئيلتان مؤديتان إلى الباب الجانبي، لكني أفاجأ بأن ماكس اكتشف استراتيجيتي الجديدة للهرب منه، و رتب لي لقاء لخمسة من زملائه المتكئون على جانبي الممر الضيق المؤدي للداخل، فات الأوان للتراجع الآن فقد التفت الجميع لي مستعدين للنيل مني، لا مفر من المواجهة، سأكون واحدًا ضد خمسة، علي أن أضرب أحدهم في وجهه كي أترك توقيعي، لمستي الفنية، أدخل يدي اليمنى في جيب معطفي لأرتدي قبضة الحديد، من المشروع أن أعدل كفة القتال قليلا، فقبضتي الحديدية ستعيد تشكيل ملامح وجوههم القبيحة، عليهم شكري حين انتهي منهم فمهما غيرت بهم لن يكونوا أقبح مما هم عليه الآن، كانت ثلاث ثوان لكنها كافية لأخرج يدي وأنطلق نحو أقربهم وألكمه بكل قوتي على فكه، أستطيع الشعور بالحماس المقرون بالفخر حين سقط أرضًا، وأرتعش الأربعة الباقين متفاجئين مما جنته يداي، لم أمنع ابتسامتي حين هجمت على الثاني و حاولت إصابته

في فكه هو الآخر لكنه تراجع بسرعة مما أفقدني توازني وسقطت أرضا وتحول الفخر إلى خوف، حاولت الوقوف قبل أن يتجمع على الأربعة لكن الأخير ركل وجهي لأصاب بالدوار، ركلة أخرى أفقدتني قدرتي على التنفس، تلويت ألما، إنهم ينوون الانتقام، ربما لو تركتهم يبرحوني ضربا منذ البداية لن تكون الضربات بهذه القوة، هل من الغرابة أن أجد طعمها أجمل حين أضربهم بالمقابل؟ تتالى الركلات على كل جزء من جسدي و أنا أحاول حماية وجهي باتخاذ وضعية الجنين، كم سأكره أن يجبرني والداي على ترك المدرسة، ووجهي الجزء الوحيد الذي لن أتمكن من إخفاءه عنهما، بقيت أرضا حتى انتهت ركلاتهم و تحول انتباههم إلى رفيقهم الفاقد وعيه، ضوضاء في رأسي تمنعني من فهم ما حولي، صديقهم ليس بخير، إنهم يتصلون على الإسعاف، يا إلهي أرجو ألا أكون قد قتلته، كل ما أردته هو الدفاع عن نفسي بكرامة وعزة، أن أعطيهم شيئا بالمقابل، أشعر بضجة حولي، إنهم المعلمين، لكنهم يتجاهلون وجودي، ويوجهون اهتمامهم نحو «ريك» الشاب الذي ضربته إذن لعله حقا قد مات، دقائق طويلة تمر وكأنها أيام، نعم هذا يحدث حينما تكون وحيدا، أشعر بيدها الرقيقة تمسح لي رأسي و تقول بخوف وباهتمام: – جوش أنت بخير، ابق معي سيأتي الإسعاف خلال دقائق، ستكون الأمور على ما يرام.

إنها فايولت الخاصة بي، إنها لا تكترث لهم بل لي، علي أن أخبرها بمشاعري، نعم قد أسجن وابتعد عنها إلى الأبد، الآن نعم الآن: – أحبك فايو ...

همستها لها لكنها لم تسمعها، فاقتربت أكثر وقالت بصوت مبحوح رقيق:

– لا أستطيع سماعك يا جوش، ستصل المساعدة قريبا.

رفع صوتي يبدو مستحيلا، مع كل نفس أدخله صدري، أشعر وكأن منشار يقطع

أعضائي داخل جسدي بقسوة، وأخيرا يصل رجال الإسعاف، عيناي لا تلتقط الكثير من الصور، وأذناي لا تسمعان صوتها الذي صار بعيدا، فقط صوت المسعف: - سنعتني بك الآن أيها الشاب.

وأغيب عن الوعي على آخر صورة لها، وهي تقف خارج سيارة الإسعاف تغطي فمها بكفيها وجلة قلقة.

أستيقظ في غرفة المستشفى، والدتي بجانبي نائمة على كرسي لا يبدو مريحا، تحتضن معطفها محاولة منها لتجد بعض الدفء، أحاول أن أعتدل لأجلس لكن تفزعني آلامي الشديدة في صدري، أتأوه بشدة وأتراجع عن فكرتي السخيفة، كان علي أن أتعلم من تجاربي السابقة ألا أعتدل فور إصابتي، تستيقظ والدتي وتقترب وفي عيناها نظرات غامضة، أرتعب حقًا هل أنا في مشكلة؟ هل قتلت الفتى؟

- هل مات يا أمي؟

تتعجب هي من كلماتي، وتجيبني:

- من ريك؟ لا لا عزيزي.

تنفست بعمق وشعرت بالراحة تثلج صدري.

- رأيتك غاضبة فاعتقدت ...

جلست على طرف سريري وتشد على يدي قائلة:

-لم أكن غاضبة، بل كنّا قد قررنا بأنك ستترك المدرسة وسنتابع دراستك في المنزل وكنت أستعد لاعتراضك، فأنت دائما ما تجد طريقة لإقناعي بعودتنا عن قرارنا.

إنها على حق لطالما وجدت طريقة للتملص من قرارهما لكنني سأستسلم، لا مزيد

من المشاحنات أو التنمرات.

– لا بأس هذه المرة أنا لن أعترض، فأنا لم أكن في خطر بل كنت أنتقم منهم، كنت متخمًا بالحقد والغضب والفخر لأسقاط ريك أرضًا، لا أريد أن تسيطر علي هذه المشاعر مرة أخرى.

تربت على شعري ثم ترتبه بعيدا عن عيناي وتبتسم براحة:

– أنت فتى طيب يا جوش فقط لو يرى الجميع ما أراه فيك.

تمسح وجهها بيديه لتبعثر بقية النعاس العالق بها ثم تقوم فتحضر صينية الطعام وتزيح أغطية الطعام.

– لا بد أنك جائع، تناول طعامك وبعد أن تنتهي سنبدأ بحل واجبات اليوم.

تأففت بشدة متفاجئا من طلبها.

– حقا أمي... لا أصدق ما تفوهت به.

مرت ثلاثة أشهر منذ حادثة المدرسة، تعافيت تماما وأصبحت أمارس الرياضة الصباحية مع والدتي، بعدها تذهب هي إلى عملها، بينما أبقى أنا في المنزل لأدرس وأدرس حتى يصيبني الصداع، ثم أترك ما بيدي، كُسِر فك ريك واحتاج إلى عملية جراحية، سمعت من فايولت أنه لا يزال يتناول طعامه عن طريق القشة، لا أستطيع مقاومة الشعور بالأسى من أجله، فقط لو أنه لم يحاول أذيتي لما حدث ما حدث، صباح اليوم انتهت دوامة المحاكم التي أقامتها عائلته ضدنا، من حسن حظي أن والدي محامي، لم ينالوا مني نظرا لتاريخ ريك العنيف معي، والدي قدم الكثير من الصور والتسجيلات التي أثبتت ضده وضد زملائه، بل أنه قلب القضية ضدهم وكسبنا مبلغا

ضخما كتعويض، أودعاه والداي في حسابي البنكي للادخار، تركي للمدرسة أشعرني بالراحة، لكنه زاد من مستوى وحدتي، أشتاق كثيرا لعزيزتي فايولت التي زارتني عدة مرات لكنها لم تكن كافية لأتخلص من مشاعر الوحدة البغيضة، سنحتفل الليلة بعيد ميلادي الثامن عشر، لم أتفاجأ من طلب والدي أن أحضر بعض الخضار النادرة عندنا من سوق المزارعين الذي لا يوجد إلا في قرية أخرى شمال قريتنا، أخذت الرحلة مني ثلاث ساعات، إنهم بالطبع يخططون لحفلة مفاجأة، ليتهم يطلبون مني البقاء في غرفتي لثلاث ساعات لكان ذلك أريح لي وأرخص لهم، لكن لا بأس سأمررها لهم هذه المرة إنهم يستحقون أن يرون وجهي المتفاجئ بتجهيزاتهم لي، لكن في المرة القادمة سأعلمهم بما أتوقعه منهم، أزفر الهواء الحار بقوة، أتجهز لصنع وجه متفاجئ، أتدرب قليلا مقابل كميرا شاشة الهاتف الذكي، لكني لا أقتنع بمستوى تمثيلي، أرضى بالأمر الواقع وأخرج من سيارة العائلة حاملا الأكياس الممتلئة بالخضار والفاكهة في يديّ الاثنتين، أقفل الباب بركلة خفيفة ثم أتجه نحو منزلي بخطوات مترددة، منزلنا من الخارج يبدو وكأنه مهجور، ما زال الوقت مبكرا على هدوء كهذا فالساعة لم تتعدى السابعة مساء، إنهم يتجهزون حتما لمفاجئتي، أضع الأكياس على الأرض وأفتح الباب، الظلام حالك والهدوء لا يقطع إلا بصرير الباب، أمضي عدة خطوات إلى الداخل، غريب! في العادة لا تأخذ المفاجأة كل هذا الوقت، شعور سيئ ينتابني لكنني أقاومه وأعذرهم بأنهم ربما أرادوا تخويفي قبل إسعادي، أزفر الهواء الحار فيما يدي تمتد نحو مفتاح الإنارة وتشتعل الأضواء في جميع أنحاء المنزل دفعة واحدة مما أعمى عينيّ للولهة الأولى، أحاول أن أقتبس صورة لكنني رسميا أعمى، انتظرت بقية ثوان حتى اعتادت عيناي على المكان، وليتها عميت إلى الأبد، بدا أمر الهدوء منطقيا للغاية، طبعا نعم، فمنذ متى القتلى يتحدثون، الدماء تنتشر حولي حتى أنها تلتصق بحذائي،

لم أشعر بها حين وطئت عليها، لكن الآن أشعر بها، وكأنها تكاد تغرقني، لم تكن جثتان فقط، بل إنها جثث جيراننا وأصدقاء والداي، حاولت أن أنادي والداي لكن اختنق صوتي بداخل حلقي.

تراجعت إلى الوراء، علي أن أهضم ما أرى لكنني أجدني عاجزا لدقيقة شللت وفجعت وللمرة الثانية هزمت، فقدتهما وهذه المرة سأتذكر كل شيء، أخيرا تحركت وبحثت عنهما من بين الجثث، هذه سارة زوجة تشاك، وهذا زوجها يرقد على بعد متر منها، لعله حاول حمايتها لكنها قتلت قبله، يبدوان مفزوعين، بينهما جارنا العجوز الأرمل وغيرهما الكثير، أتعب وألهث وأنا أبحث عنهما، زينة الحفل لا تجعل الأمر أسهل، لعلهما في المطبخ، توجهت فورًا إلى المطبخ أفتح الباب لأصنع آثار دماء حديثة على الباب الأبيض النظيف، أعبر فورًا وأرى المطبخ بحالة فوضى، زجاج، كؤوس العصير في كل مكان، كيك الحفل كريمته البيضاء امتزجت بالدماء الحمراء، أرى جثة والدتي من بعيد عيناها مفتوحتان تنظران إلى السقف، إنها ترقد بجانب الباب المؤدي إلى الحديقة، أطرافي بردت فأصبحت كقطع الجليد المشلولة، هرولت إليها واحتضنت جثتها التي ما زالت تحتفظ بشيء من دفئها رغم كثرة الدماء التي سالت من جرح غائر على عنقها، من قد يفعل هذا بنا؟ أم أنا السبب؟ هل أنا من قتلت بسببه كل هذه الأرواح البريئة؟ من أنا؟ أنا لا شيء! لا وقت للحزن، علي أن أتصل بالشرطة، أمسح دموعي من على وجنتيّ، وأتركها هنا والدتي، أقوم و قدماي بالكاد تحملاني، أتكئ على الطاولة وأمشي نحو الهاتف، أبعثر بقايا الحفلة المرصوصة بعناية، وأنا أمضي يسقط الزجاج، ينسكب العصير، ويفسد الكيك الذي لن يأكله أحد، أنزع الهاتف من مكانه، أحاول الاتصال لكنني أفاجأ به مقطوع، يسقط من يدي، أنزعج أنني أسبب الكثير من الضوضاء، أتذكر هاتفي الذكي، أخرجه من جيبي، وأضغط أزراره، يا لبؤسي،

إنه مغلق.

علي أن أصله بالشاحن، أتوجه لغرفتي، أصادف جثتين لرجلين لا أعرفهما، أتجاوزهما وأعبر بابي ثم أقفله ببطء شديد، أصل طرف سلك الشاحن بالهاتف، يدي المرتعشة تعقد المشكلة، فأكاد أكسر الشاحن لكنني أنجح، البقاء في المنزل خيار أحمق قمت به، ليتني هربت من هنا لكنت الآن في وضع أكثر أمانا، حركة خفيفة أشعر بها من خلفي فألتفت سريعا متشائما متوقعا الأسوأ، رأيتها إنها هي فايولت كانت تختبئ في خزانتي، المسكينة تبدو مرعوبة، إنها ترتجف، الدماء الحمراء تغطي فستانها الأبيض القصير، تتقدم نحوي وتحتضنني بقوة، قالت بكلمات متقطعة: - كنت في الحمام عندما سمعت أصواتهم، قتال عنيف حدث بالأسفل، خرجت لأصل لهاتف حتى أطلب المساعدة لكنهما رآني وأنا أعبر الممر، لم يتوقعا أنني قد أحمل مسدسي الخاص.

تراجعت إلى الوراء وقالت بعينين دامعتين حمراوين ومسدس صغير أبيض اللون تدسه داخل حذائها الممتد إلى نصف ساقها:

- إنها المرة الأولى التي أقتل فيها أحدهم.

تصمت قليلا ثم تغمض عينها لتتساقط آخر دمعتين احتلتهما.

- يا إلهي ماذا أقول، والداك بالأسفل، هل أنت بخير يا جوش؟

للتو أصحو لنفسي منذ أن رأيتها نسيت مصابي، وهاهي تذكرني بجثة والدتي لكني لا أبكي، فقدت من اهتمت لشأني طوال السبع السنوات الماضية ولا أشعر إلا بتخدير في أطرافي، أنا أحبها، أنا متأكد من ذلك.

- لم تنجوا والدتي، ووالدي ليس في المنزل لعله هرب.

قالت هي:

- يا للهول، أنا آسفة لمصابك.

تمسح دموعها من على خديها ثم تقول بثقة وجدتها غريبة في موقف كهذا:

- هيا لنذهب من هنا، هذا المنزل لم يعد آمنا.

شدت على يدي اليمنى بيدها اليسرى لتسحبني إلى أمام الباب ثم تخرج مسدسها الصغير، من موضعه، تترك يدي لتقبض على الباب وتهمس لي: -ابقى خلفي سأخرج أولا.

وأقرنت قولها بالعمل لتخرج بعد أن تأكدت من الممر الخالي ثم تبعتها أنا.

انحنت لتعاين الرجل الأقرب لنا، أشارت إلى وشم خلف أذنه اليمنى شبيها بوشمي ثم همست:

- اللعنة، إنهم من أتباع الدكتاتور، نحن في خطر، وقفت وقالت محاولة بث الطمأنينة إلي:

- لا تقلق لن أدعهم يلمسونك، سأخبرك بكل شيء، لكن علي أن أبقيك آمنا أولا.

كنت حتما بنصف وعيي حينها، أرى كل شيء، أرانا نتحرك، نختلس النظر إلى الطرق، ونعدو إلى سيارة تسرقها فايولت بخفة يد، تدخلني في المقعد الخلفي، بلا أية مقاومة مني، نعم أردت تغيير حياتي جذريا، لكن ليس بهذه الطريقة، ليس بمقتلة أخرى مفجعة، أخفي وجهي بين يداي وأحاول أن أتماسك لكنني أفشل، دموع صامتة تخرج بعضا من مرارة ما رأيته.

أرتاح قليلا فأعتدل جالسا، تنتبه هي إلي فتسأل قلقة:

- هل أنت بخير؟

أمسح وجهي بيدي وأقول بصوت ضعيف بالكاد يصل إلى مسامعها، إنها ليست المرة الأول التي أفقد فيها أحدًا:

- سأكون بخير.

يعم الصمت وتستمر هي في القيادة، أخرجتنا من القرية إلى مكان تعتبره آمنا لبضعة أيام حتى نقرر ما سنفعل هناك، غلبني النعاس رغم الكآبة التي أمر فيها، لم أعتد النوم حين أواجه حزني، لكن هذه المرة لا أستطيع إلا أن استسلم مرحبا به هربا من واقعي.

- جوش هيا بنا وصلنا.

صوتها الناعم يوقظني من نومي.

خرجت من السيارة لأجدنا في وسط الظلام سألتها:

- أين نحن؟

أجابت وهي تضيء المكان بشاشة هاتفها.

- مستودع قديم خارج القرية لن يخطر على بال أحد.

أخذت بيدي...

- هيّا بنا لنختبئ في الطابق العلوي، جهزت المكان منذ أن قدمت إلى هنا، قد يكون متسخا بقليل من الغبار لكنه آمن.

استأنست بيدها الدافئة وتبعتها بصمت، المستودع ضخم ممتلئ بالسيارات

القديمة، تتوقف فايولت عند أحد السيارات الكبيرة وتفتحها بهدوء، تخرج منها حقيبتا ظهر سلمتني واحدة وارتدت الأخرى، ثم أخرجت كشافان متوسطا الحجم، دست الأول في جيبها واستبدلت الثاني بهاتفها الذي جاورته مع الكشاف الأول.

قادتني بعدها إلى الدرج، صعدنا بصمت حتى انتهينا في صالة واسعة، اتجهت مباشرة نحو ركن مغطى بأقمشة مهترئة لوهلة تبدو ككومة قمامة، لكن فايولت بدأت بإخراج الصناديق وكل واحد منها مكتوب عليه بخط أسود عريض، طعام، أنسجة والأخير كتب عليه «طوارئ» سألتها: - ما الذي بداخله؟

أجابت وهي تسحب صندوق الأنسجة وتخرج منه بعض قطع الملابس وترميها لي:

- أسلحة وعدة إسعافات أولية، اذهب وارتدي هذه، علينا أن نكون مستعدين للمغادرة.

غادرتها برفقة كشاف وارتديت الملابس الجديدة، وضعت ملابسي التي صبغت بالأحمر داخل كيس بلاستيكي، إنها دماء غالية، دماء أمي، لسبب ما لم أرد أن أبتعد عن هذه الملابس، قد أكون مختلا لأنني أجد فيها بعض السكينة، من المحزن أنه لا يوجد كتيب تعليمات يرشدني بطريقة التصرف في هكذا ظروف، أجد شيئا من الغرابة لأنها أحضرت لي ملابس تناسبني، هل كانت تخطط للهرب معي؟ إنها تعلم ما لا أعلم وعليها أن تفسر لي، عدت لأراها وقد ارتدت ملابس عادية بدت أوضح بعدما أنارت جزءً صغيرا من المكان بفانوس كهربائي صغير وجهزت كيسين للنوم كالتي كنا ننام بداخلها في رحلات التخييم مع والدي.

جلست على إحداها وسألتها:

- لما حدث ما حدث؟

جلست هي بجانبي، أخذت نفسا عميقا:

- منظمة الدكتاتور لم تنتهي حقا، بل هي في مرحلة سبات مؤقت حتى عودة الدكتاتور، البعض يقولون بأنه لم يمت والبعض الآخر يقول بأنه يخلفه وريث ما أن يصبح جاهزا للحكم سيجمع جميع الخلايا النائمة التي قام بعمل سبات لأدمغتهم وذكرياتهم، المادة التي تحقن بها تغير في أعمارهم تنقصها بمقدار خمسة سنوات إلى عشرة، كما أنها تقوم بمحو الذكريات مؤقتا، لهذا أنت لا تتذكر شيء قبل قضية انتحار والديك المزعومة.

قصة انتحار والداك الحقيقيان لم تكن إلا من نسج خيال منظمة الدكتاتور، أنت خلية نائمة، أنا لا أعلم لمَ هم كانوا عنيفين وقاموا بالقتل بهذه الطريقة الوحشية، ربما قاوما والداك في البداية جهلا منهما، وربما حصل ارتباك كبير وحامت الشكوك على أن هناك خونة للإمبراطورية من بينكم، قدومهم الليلة دليلا على قيام المنظمة من جديد، وهذه لمصيبة مصيبة عظيمة بالفعل.

كانت المعلومات ثقيلة للغاية خصوصا أنني ما زلت مشوشا بسبب المجزرة التي حدثت في منزلي، مرت خمس دقائق حتى خطر لي السؤال الثاني: - ولمَ أنت على استعداد لأمر كهذا؟

- أنا أعمل مع الاستخبارات المركزية العالمية، لا يغرك الاسم فأنا لست على مهارة عالية اختاروني لأنني على معرفة مسبقة بأفراد المنظمة عندما كنت طفلة، والداي كانا جاسوسين يعملان لصالح الاستخبارات، لم يكونا جيدين في عملهما فقد كشفا وقتلا، بعدها احتضنتني الاستخبارات وأجبرت على العمل لديهم مقابل الحماية التي سيوفرونها لي، لكن ليس بعد اليوم فقد قررت الهرب.

لمعت عيناها وهي تنهي حديثها إنها أسيرة منذ اليوم الذي يتمت فيه.

هي تشبهني إذ تبحث عن سعادتها في هذا العالم، ومن لا يفعل؟

- نم أنت يا جوش، وأنا سأحرس المكان.

نعم هذا ما سأفعله، فأنا منهك للغاية، فقط أريد الذهاب إلى غيبوبة مصغرة تريحني من عناء ما يشغل بالي.

أستيقظ على أصوات تجهيز الإفطار، فايولت تفتح المعلبات وتسكبها بداخل قدر صغير مستقر على فوهة أنبوبة غاز، أستطيع أن أخمن بأن مئات الأفكار تتضارب في رأسها، إنها تخطط بجدية، عيناها ليست ضالتان، حواجبها المنعقدة تأكد لي بأنها تعرف ما تفعل وما ستفعل، إنه من المريح لي أن أتمتع بهذه الرفاهية، رفاهية أن أجلس جانبا، وأدعها تستلم مقود القيادة حتى أستجمع شتاتي، ما زلت أشعر بالسوء، أسترجع صورة والدتي إنه لفراغ بائس تصنعه تلك الصورة، أقوم من مكاني في محاولة مني لنسيان ما رسمته ذاكرة الأمس، ابتسمت بلطف، سرعان ما رأتني وقالت بصوت منخفض وكأنها تخشى أن يكتشف أمرنا، وكأن أعداؤنا على بعد بضعة أمتار منا.

- صباح الخير.

رددت عليها تحيتها بنفس الصوت المنخفض فأجابت:

- دقائق وسيجهز الإفطار.

قالتها وانشغلت ...

مرت ثلاثة أيام على بقائنا مختفين عن العالم، نترصد الأخبار التي للأسف أدانتني وأبي بقتل أمي وجيراننا، فايولت لا تفتح الراديو خاصتها إلا بعد تمام الساعة

التاسعة مساءً (علينا أن نقتصد كل ما يمكننا الاقتصاد به، فنحن لا نعلم كم من الوقت سنبقى هنا) هذا ما تقوله حينما تطفئه، تبرر ما تفعله كل مرة، لعلها تشعر بالذنب، نأكل ننام ونستمع إلى الراديو، مللت هذا الروتين الغريب، ها هي تعود من تجوالها اليومي حول المستودع الذي نسكنه، تقول بعد أن تكشف غطاء شعرها.

- كل شيء بخير، اختبرت مخارج الطوارئ الخلفية، إنها تعمل بشكل ممتاز.

-جيد.

هذا كل ما استطعت قوله، رغم أن لساني يريد أن يلفظ بالمزيد، علي أن أفعل شيئا ما وإلا سأجن هنا، قمت من مكاني، واقتربت من إحدى النوافذ الخربة المغبرة، الشمس تسطع في كبد السماء، إنه يوما دافئا كما تحبه هي وأكرهه أنا، أحس بأنفاسها اللاهثة بجانبي فألتفت عليها.

- وجدت مكانا مناسبا للإقامة به، كوخ صغير في الجبال، هناك كثيرا ما تنقطع سبل التواصل، مما سيجعل من الحركة أمرا يسيرا، من الجيد أنني ما زلت أحتفظ بصديق قديم.

شعرت بالارتياح لخيار الخروج من هنا، التفَت نحوها وسألتها:

- وبعدها إلى إين؟

- لم أقرر بعد.

قالتها بنظرة حيرة، لكنني أعلم إلى أين هي وجهتها التي تتمناها:

- لنذهب إلى روما، لنترك هذه القارة بأكملها.

ابتسمت هي وقالت:

- أتحب روما؟

أجبتها وأنا أمسك بيديها:

- بل أحب الأرض التي ستعيشين بها.

تغير وجهها، أرادت الانسحاب.

- لا يمكن أن أستغلك لمصالحي.

تمسكت بها وقربتها إلي أكثر وأنا أقول لها:

- لا، أرجوك استغلي ما شئت مني، فأنا أحبك حتى النخاع فايولت، أحببتك منذ أن رأيتك.

دقات قلبي تضرب صدري كالطبول، وأخيرا صرحت لها، قلتها، وللحظة اتصلت عيناها الرائعتان بعيني، إنها تراني، ترى روحي كرجل قد تحبه، لم نعد نرى العالم الذي حولنا، كنا نحلق في فضاء خاص بنا، حتى أخرجتنا رصاصة لعينة مرت من فوق رأسي، دفعتني وهي تصرخ

- اسلك المخرج الغربي الآن، وإياك أن تتبعني.

أعدو مبتعدا عنها، بالأمس درسنا خطة الهروب عدة مرات، أعلم ما الذي علي فعله، أستطيع أن أستمع لصوت الرصاص المطلق حتما باتجاه فايولت، لا أحد يتبعني أو هذا ما يخيل إلي، تتوقف أصوات الرصاص حين أصل لمخرجي، لا أستطيع القفز من هذا العلو إلى مكب النفايات الممتلئ بأوراق الكرتون دون أن أطمئن عليها، أي رجل سأكون إن هربت وتركتها خلفي؟ أحسم أمري فورا، أعود من حيث أتيت، وأبحث عن المخرج الشمالي، المخرج الذي تخطط هي للهرب منه، أمر على موضع نومها،

وأخرج سلاحها الصغير، يا للهول ثقيل وبارد كالثلج، إنها بالقرب من مخرجها، أستمع لحشرجة تخرج من فمها، هما رجلان ضخمان ثقيلان، أحدهما يحمل سلاحه نحوها، والآخر يخنقها بيديه.

يقول صاحب السلاح:

- والآن سيتركك توني وستخبريننا إلى أين سيذهب الغلام.

اتخذت وضعية إطلاق الرصاص التي بالكاد أتذكرها من درس يتيم من دورة الرماية، ثبت قدماي على الأرض، مددت يداي، وأنا أوجه فوهة المسدس نحو رأس صاحب السلاح جاعلا منه هدفا لي، وبدون انتظار أطلقت النار، ومات، مات سريعا فقط سقط أرضا، تراخت يد الرجل الآخر بعد رؤية زميله ميتا، مما مكن فايولت من التملص منه والسقوط أرضا وصرخت: - الآن! أقتله الآن.

وما تريده فايولت تناله فايولت، وأقتل الرجل الآخر، كنت قاسيا، لم يكن وقتا مناسبا لتبادل الرحمة، فأنا رأيتني هدفا ميتا لهم، وهذا مالا يتقبله العاقل.

تقدمت مني فايولت إنه الوقت لتجهز لصفعة قوية من باطن كفها.

لكنها عوضا عن ذلك تفاجئني بحضن قوي، كانت ترتعش، فاحتويتها، ضممتها إلي.

-أنا سعيدة جدا أنك أتيت، كم كنت سأكره أن أموت في مثل هذه البقعة.

- لم أكن لأسمح لأحد أن يؤذيك.

بقيت ساكنة لدقيقة ثم ابتعدت مستعيدة توازنها النفسي، نزلنا عبر درج الطوارئ، درج ضيق متهالك لكنه صمد تحت أقدامنا.

تأجيل السفر إلى الكوخ الذي خططنا الاختباء به لم يعد أمرا معقولا، لذا قررت فايولت سفرنا فورا إلى الطرق السريعة الواسعة، كانت تخبئ سيارة فورد زرقاء داخل مرآب منزل مهجور قمنا بما يلزم للتجهز للسفر، التحقق من ضغط العجلات، تغيير الزيت والتأكد من مستوى الوقود، وأخيرا شطف السيارة بالماء للتخلص من الغبار المتراكم، لم نرد أن نلفت الأنظار بسيارة متسخة، وبدأت فايولت القيادة لنغادر، فنرحل من الجو المعتدل إلى البارد، من الحياة الريفية السهلة إلى الحياة الجبلية القاسية، فآخر ما سمعناه أن الكهرباء والانترنت لم يتم إصلاحها بعد، مما جعل المنطقة الموقع المثالي للاختباء، تدفئة بقطع الخشب، ولحوم طازجة، لم أمنع نفسي من إلقاء السؤال: – هل سنعتمد على الصيد في جمع الطعام؟

أستطيع أن ألمح ابتسامتها:

– ليس إلى هذه الدرجة فهناك طرق أخرى غير التجميد، نستطيع بها الاحتفاظ بالأطعمة.

شعرت بالغباء فور انتهائها من جملتها، بالطبع هناك آلاف الطرق لحفظ الطعام.

أقسمت أن أطبق فمي، وأن أعيد الجمل مرتان على الأقل قبل أن أنطق بها، فكيف لي أن أكسب ودها وأنا أتحدث كمراهق جاهل؟

– هل أنت بخير؟

بدت مترددة حين سألت.

– ماذا؟

–أعني أنت قتلت اليوم رجلين، وهذا كفيل بكسر أعتى القلوب.

لم أجد ما أقوله أنا حتى لا أفكر فيما حدث، كما أنني أواجه صعوبة في تقبل الحديث معها بشأن ما فعلت.

- في الحقيقة، أنا لا أريد التذكر.

- أنا آسفة جوش، أردت فقط الاطمئنان عليك.

هناك الكثير من الكلام الذي تجد الصعوبة في التعبير عنه، أرى ذلك في وجهها، لسانها، فمها الذي يفتح ثم سرعان ما يعقد، مترددة هي.

أقطع الجو المرتبك بيننا:

- سأنام قليلا.

- نعم عليك أن ترتاح.

قالتها سريعا وكأني أزحت عنها هما ثقيلا، أعود بمقعدي ألى الوراء وأتظاهر بالنوم، حتى أصبت به.

كانت الشمس قد ظهرت وأنارت الأفق، شريكتي في الجريمة تحمل في يدها كوب قهوة مثلجة اختارتها باردة لتعجل عملية دخول الكافيين إلى جسدها، ألتفت إلى الخلف لأرى مخزونها الاحتياطي مرصوصا بعناية في المقاعد الخلفية.

لكن التعب قد نال منها.

أكره أنها تتمسك بالقيادة في كل شيء، وكأنها تكبرني بثلاثون سنة.

- فرق الخمس سنوات بيننا لا يمنع أن نتشارك المسؤولية، كما أنه عليك أن تريحي عينيك الجميلتين.

تبتسم وتلمحني بطرف عينها:

- لا حاجة لذلك، هناك نزل قديم على بعد ساعة أو أقل، سأنام بعدها، وأنت من سيحرسنا الليلة.

تمر الساعة ويلوح لنا النزل القديم بصعوبة، له لوحة إعلانية هائلة لكنها معطلة بالكامل لا أنوار لها، وآثار الزمن قد أفسدتها، لولا أضواء النهار لما رأيناها، تقف بالسيارة بعيدا عن مدخل النزل، تخرج منها، تُخرج محفظتها من جيبها لتعد أموالنا بحذر، تعيدها لجيب بنطالها، تحذرني: - ابقى هنا فإظهار وجه أحدنا للعامة أفضل من كلينا.

تدلف مهرولة إلى باب الاستقبال، وتختفي هناك، فيما أنا أكاد أختنق داخل السيارة، أحتاج أن أحرك عضلاتي التي تيبست بشدة في الساعات الماضية، المكان شبه خال، لن يضر إن خطوت إلى الخارج، امتثل للمغريات التي تزينها نفسي، فأخرج إلى الهواء الطلق، أتمغط وأدور حول السيارة، أشعر بتحسن، المكان هادئ، والهواء منعش وبارد، صوت أنثوي يصل إلى أذنيّ فألتفت إلى الخلف.

- مقيم أم عابر؟

خرجت لي من العدم، فتاة شقراء جميلة تحمل في يدها كيس بلاستيكي أسود، ليس علي أن أتحدث مع الغرباء، لكنني لن أتجاهلها فأبدو مثيرا للشك: - لست متأكدًا، فأختي وعدتني بمفاجأة مجهولة.

-كم هذا لطيف ليت أخوتي يقتدون بها، أتمنى أن تكون مقيما.

تمد يدها لمصافحتي بابتسامة عريضة:

- أنا كايلي، إن كنت مقيما هنا ابحث عني لأعرفك على المنطقة.

هممت بمصافحتها إلا أن فايولت تفاجئني وهي تأخذ بيدي بعيدا عن موضعي، بعيدا عن الفتاة الشقراء، تسحبني بعيدا غاضبة.

- هل جننت؟ ألا تعرف أي خطر نحن معرضون له؟ قد تكون تلك الفتاة منهم.

سعيدا نوعا ما بغيرتها الواضحة، وقبضة يدها التي تكاد تعتصر يدي، نزعت يدي عنها بعد أن ابتعدنا عن الفتاة واقتربنا من غرفتنا.

- لا يمكنك معاملتي بهذه الطريقة.

واجهتني بوجهها المحتقن:

- بأي طريقة؟

- كمن تغار على حبيبها؟

تخرج مفتاح الغرفة من جيب معطفها بعصبية، وتخطو نحو الباب.

- أنت بالتأكيد فقدت عقلك، نحن لا يمكن أن نجتمع أبدا.

اقتربت منها، وسألتها:

- لمَ تتهربين من قولها؟ إما أنك تبادليني المشاعر نفسها وإما لا.

تفتح الباب وتقف بسكون هناك تحت ضوء الصباح، تمنع لسانها من قول ما أريد أن أسمع.

- أنا أحبك فايولت بل أعشقك، لمَ لا يمكننا أن نطرح تلك الحواجز السخيفة بيننا.

- ليست حواجز سخيفة، لدي ماضٍ يثقلني بحجم السماء.

- أخبريني ما هو الماضي الذي قد يمنع حبنا؟

تمنحني نظرة حزن أخيرة، وتقول:

- السيارة بها وجبة إفطار، سأدخل لأنام.

وتركتني هنا حيث أقف، محتارا من تصرفاتها المتناقضة، عاشقًا معذبًا في غرامها.

نامت عشر ساعات، سنفقد ضوء النهار إن انتظرتها.

رسميا أعترف بأن هذه الفتاة تجيد هواية النوم العميق، فلا تركت كوبا إلا وقد أسقطته ولا بابا إلا وقد فتحته وأقفلته حتى أنني تظاهرت بالشخير لخمس دقائق، أعلم بأن هذا يبدو طفوليا، بالأخص حينما أتذكر ساعات قيادتها الطويلة، لكني لا يسعني إلا أن أشتاق لها، وإن لم تبادلني المشاعر نفسها.

-كم الساعة الآن؟

وأخيرا القليل من جو المغامرة على الطريق السريع قريبا، أتظاهر بالثقل رغم فرحتي الكبيرة باستيقاظها.

- لا أعلم لكن الشمس شارفت على المغيب.

قالت بكسل وهي تجر جسدها النحيل إلى خارج السرير بصعوبة:

- أنا جائعة، سآخذ حماما سريعا وبعدها سنشتري بعض الطعام لنأكله على الطريق.

لم أستطع أن أمنع حماسي أن يتسرب لصوتي:

- أنا بالفعل اشتريت الكثير من الطعام، كما أنني وجدت محلا لبيع الملابس المستعملة، لمَ ننفق كل أموالنا الآن وقريبا سنتسوق من أوروبا قارة الموضة؟

ابتسمت كملاك، ملاكي الخاص بي، جميلتي فايولت أردت أن أقول (حتى النوم لا يمكن أن يفسد جمالك) لكنني سيطرت على نفسي نوعا ما غاضبا منها، نظرت هي إلى طرف السرير، قميص أرجواني طويل الأكمام مع بنطال جينز أزرق، أخذت ملابسها معها إلى الحمام الصغير، عشرون دقيقة، ثم تخرج وهي مرتدية ما ابتعته لها، شعرها الحريري مبتل تماما، تبحث عن مفتاح السيارة، لكنني أخرجه من جيبي:

- سأقود أنا هذه المرة على الأقل حتى تتناولي فطورك.

- جوش...

قاطعتها:

- أنا أصر.

- حسنا.

استسلمت سريعا كان هذا سهلا على غير ما توقعت، بعد عشر دقائق كنا بالفعل على الطريق السريع، خمس ساعات أخرى وسنكون آمنين تحت سقف كوخ خشبي مهجور، الأجواء تزداد برودة كلما ارتفعنا عن سطح البحر، البرودة تتمكن ببطء من اختراق جلودنا، تضغط هي على زر التدفئة لكن السيارة القديمة تفشل في عملها، منظر الأشجار التي تحمل مئات الطبقات من الفروع الخضراء تبهجني، كل شيء هنا برفقتها يسعدني، حتى البرودة التي تقرص عظامي معها هي خير من ألف شمس قد تدفئني دونها، أتذكر معطفي الذي يقبع في الخلف، أشير لها إلى الوراء: - ارتدي معطفي الجلدي، سيحميك من البرد حتى نصل.

تمتد يدها نحوه، وترتديه بسرعة، تنفخ الهواء في كفيها محاولة أن تنعم بشيء من الدفء المؤقت.

- هكذا أفضل.

- هلا أخبرتني عن نفسي قبل أن أفقد ذاكرتي، وهل كراهية الجميع في مدرستي لي لها علاقة بالأمر.

أستطيع أن ألاحظ توترها، فهاهي تزيل خصلات شعر وهمية عن جبينها، تأخذ نفسا عميقا وتنطق:

- الوشم الأسود بجانب إذنك، إنه علامة لأتباع وحلفاء الدكتاتور، إنه يحدث بسبب ترياق لفيروس خطط الدكتاتور أن يطلقه، لكن لحسن الحظ انتهت الحرب وهزم حينها وانتهى كل شيء سيء، العلامة التي دفع من أجلها الأغنياء ثرواتهم وصمتهم بالعار، وأصبح كل من يحملها ينبذ سرا، لا أحد ينطق بالسبب فقط تساء معاملتهم بصمت، أما أنت فأنت تحتل مكانة مميزة بين علماء الجيش، الدكتاتور أولاك عناية خاصة، فضلك بها عمن سواك، أنت يا جوش تحمل بداخلك الكثير من الأسرار التي قد تؤدي بهذا العالم إلى الهلاك، أنت الورقة الرابحة لخليفة الدكتاتور.

- أوه هذا يفسر حياتي، ووالداي؟

- إنهما عميلان سريان.

وماذا عن والداي الحقيقيان، هل هما حيان؟

- أنا آسفة جوش، إنهما متوفيان منذ زمن بعيد، هذا ما سمعته.

ثبت عينيّ على الطريق، جرحت من حقيقتي السوداء، ومن وحدتي، ومن الحياة

التي حظيت بها ومن الحياة المخططة لي.

- أنا مجرد بيدق في لعبة شطرنج، بيدق وحيد.

شعرت بيدها تحتضن يدي التي تعصر عصا الغير.

- لست وحيدا، أنا هنا معك.

كانت البلسم الشافي لآلامي، لم أعد وحيدًا، لكن سرعان ما سحبت يدها عني، لتقطع أملًا قد وصلته للتو، باحت بعذر غير مقبول.

- آسفة، لم أقصد فقد انجرفت، كل ما أقصده، هو أنك تستحق سعادتك.

نظرت إليها وقد كانت تحمل نظرة خوف، أهذا ما أعنيه؟ أأنا لها رجلا مرعبا تخشاه؟ أقول في محاولة مني لكسر الحاجز الذي يفرقنا: - أنت سعادتي.

لكنها قالت وهي تشيح بوجهها بعيدا عني

- لا يمكن أن نكون معا أبدا، حتى لو أردت ذلك، النحس سيطاردنا أينما كنا سويا.

بالكاد انسجمنا، بالكاد حظيت بحبها، الحاجز الذي يخيفها أكبر مما أتخيل.

- هل آذيتك في الماضي فايولت؟

لم تجبني سواء بنعم أو بلا، تجاهلتني تماما، ماذا فعلت يا ترى؟ ما الأفعال القبيحة التي ارتكبتها، جهل أسود يغرقني.

استسلمت بعدها فساد الصمت المميت بيننا.

وصلنا إلى وجهتنا، لم نتحدث إلا لتحديد الاتجاهات، هي تمسك الخريطة الورقية وأنا أستجيب لها، ابتاعت كل ما نحتاج إليه من محطة صغيرة، مقطوعة عن العالم

الخارجي، يعتمدون على مولدات الطاقة لإنتاج الكهرباء، الكوخ الذي توقفنا عنده قديم ومهجور لكنه في حالة ممتازة، بدأنا في إنزال كل ما نحتاج إليه، فايولت توجهت مباشرة نحو المدفئة، وانشغلت في إشعالها بينما خرجت أنا لإدخال المزيد من المعلبات، النهار ما زال يحتفظ بآخر لحظاته، انتهيت وجلست على أحد المقعدين الوثيرين القريبين من المدفئة، فتطايرت جزيئات الغبار حولي.

قالت فايولت:

- غدا سننظف هذا المكان، سيكون قصرنا خلال الأيام القادمة.

قصرنا الصغير لم يكن سوى خمس في ستِ أمتار، أثاثنا لم يكن سوى خمس قطع، أريكتان بنيتان بجانب المدفئة، سرير متوسط الحجم تحت النافذة الغربية، ومطبخ بسيط تزينه النافذة الشرقية، لكنه أكثر من كافٍ حتى أنني أجده أكثر مما نحتاجه، الكثير من قطع الأثاث يعني الكثير من الغبار المتراكم، على آية حال الليلة نوما وغدا أمرا.

×××

اليوم الثاني ...

مرحلة التنظيف مرحلة مهمة للغاية، فقد نشأت على يد عائلة تقدس محاليل النظافة، لكن سنكتفي بالماء هنا، لا تتاح لنا رفاهية شراء مواد التنظيف في هذا المكان المعزول، كان من المبهج لي أن تحتاجني فايلوت، إما لأرفع الطاولة أو أنقل الأريكة أو حتى أن أقف بجانبها لنمسح النوافذ سوية، لم تأخذ المهمة المستحيلة منا إلا بضعه ساعات في العمل المتواصل لا أنكر أن الإحساس بأننا زوجين عجوزين منسجمين قد راق لي، لكنني بعدها تركت فايلوت لأحضر قطعا من الحطب، بينما هي تسخن لنا وجبة

الغداء، علي أن أبتعد عنها وإلا سأحبها أكثر مما أفعل، هه وكأن هذا ممكنا، بجانب الشرفة الصغيرة يوجد مخزن صغير لقطع الخشب، منظره شبه الفارغ لا يريحني.

أتذكر فليما وثائقيا عن الحياة في الجبال، أتناول فأسا وأهِمُّ بقطع أول شجرة مألوفة مما شاهدته في الفيلم، لم يكن اختيارها صعبا، إذ أنها النوع الوحيد حولنا، كانت أصعب مهمة قمت بها، الخشب لم يكن سهل القطع كما تخيلت، استمرت قطع الخشب في السقوط سليمة من فأسي إما يمنة أو يسرة، لكنني نجحت في مهمتي قبل غروب الشمس، ساعات كثيرة قد أهدرتها، لكنني أصبحت أكثر خبرة.

هي تنام هناك في أقصى الغرب على السرير، وأنا أنام بجانب المدفئة أفترش الخشب والتحف، قطعة كبيرة من الصوف، لكن الأرضية النظيفة جعلت من أمر تنفسي سهلا على عكس ليلة البارحة، إنه لمن المريح أن نعيش في منزل نظيف ولو كان لوقت قصير، أدير لها ظهري لتنعم بأقصى حدود الخصوصية هنا، لا أريد أن أتطفل عليها أو أحراجها، أتمنى فقط أن نبقى هنا بأمان بعيدا عن كلا الفريقين المطاردين لنا، أتذكر والدي، ما تراه يفعل الآن؟ يبحث عني ليسلمني إلى قدر مشؤم؟ أيسلمني لقصة أكون فيها الشر المستطير؟ ماذا لو فشل هو في مهمته؟ أيقتله خليفة الدكتاتور؟ أنا السبب في موت أمي وسأكون سببا في قتل أبي إن لم تكن أرواح الأبرياء على الكفة الأخرى، لكنت سلمت نفسي لهم لكن قدر الله وما شاء فعل.

الصباحات هي الأجمل، أحضر الماء من الجدول القريب، وهي تبدأ بطبخ طعام الإفطار، نشرب القهوة، نتحدث قليلا، ثم ينشغل كلا منا بقراءة كتاب من خزانة الكتب السرية، نعم فأهل هذا الكوخ يخبؤون مجموعات الكتب تحت السرير، كما أنني وجدت صندوق سري للكتب فوق خزانة المطبخ، أظن بأن السكان السابقون لهذا

المنزل مخبولون، الرف الوحيد في هذا الكوخ فارغ إلا من لوحة بسيطة علقت فوقه كتب عليها مكتبة، من يفعل هذا؟ لكنهم أهدونا أفضل لحظات ترتيب الكتب على الرف مع فايولت، كنا نتبادل النكات مع الضحكات حول هذ الموضوع الغريب.

نزور المحطة مرة في الأسبوع نبتاع منها كل ما نحتاج إليه، نتنزه بجانب جدول الماء ظهرا.

أما غروب الشمس فهو موعد فايولت مع شجرة التوت، هي تراقب جمال اختفاء نور شمسنا متكئَة عليها، وأنا أراقب خيالها من بعيد، لا أقاوم نمو مشاعري نحوها، يوما بعد يوم يثقل قلبي بحبها، ليتها فقط تبادلني المشاعر نفسها!

الفصل الثاني

مرّ شهرٌ على حياتنا الهادئة هاهنا...

أحبها، بل أعشقها منذ أشهر، تقاومني وتغار علي، تصرفاتها تثير جنوني، سأفعل ما أفكر به وعندما ترفضني سيكون لي حق الجدال.

إنها تحب ذاك الموضع، لا تفوتها ساعة الغروب إلا و هي هناك، الجو البارد يزودني بفرصة مناولتها معطفها، أسحب معطفها البني بيدي اليمنى، وأتأكد مما في جيب معطفي بيدي اليسرى، أخرج من كوخنا الصغير لأجدها كما هي كل يوم، تستند على شجرة التوت، إنها هادئة كملاك، لطيفة كنسمات الصباح، أسابق الخطى إليها فتنبه لي وتلتفت تبتسم فتفتح أبواب البهجة بقلبي، ومعها تفتح أيضا نوافذ بؤس، ماذا لو رفضتني إلى الأبد، ماذا لو كانت خطوتي سابقة لأوانها، ماذا لو بحماقتي أفزعتها؟ لكن وإن فعلت هذا أفضل ألف مرة من الوقوف على أمل ضعيف، ومراقبتها بعين العاشق من بعيد، نعم سأفعلها.

- هاك المعطف الجو بارد هنا.

أخذته مني بلطف وارتدته على الفور.

- أظنني قد أموت من البرد هنا دون أن أنتبه، شكرا جوش.

- إذن من الجيد أنني هنا، فهذا آخر ما أريده.

التفتت إلي وقد اتسعت ابتسامتها، فوجدتها اللحظة المناسبة، يدي المرتعشة لا تساعد حقا، ومع هذا أواجهها لأحجب نور الشمس عنها، وأخرج ما بيدي، خاتم فضي

بسيط ارتديته لسنوات، كان هدية من والدتي حين كنت مولعا بموسيقى الروك، نقش الجمجمة المخيف لا يجعله رومانسيا البتة لكنه خير من لا شيء، سيكون قصة ظريفة نرويها لأحفادنا إن وافقت، وقصة محرجة أبقيها لنفسي إن رفضت.

رفعته لها، وفتحت يدي لتراه، وقبل أن تبدي شيئا من انفعالاتها قلتها بقوة بصراحة وبجنون

- تزوجيني يا فايولت.

لن أنسى تلك الثانية ما حييت، تلك الثانية البسيطة بدت لي كدهر كعقد بل كقرن من الزمان، انقلب وجهها وشحب وكأنها رأت الموت بعينه، يا لحماقتي، إنه الخاتم إنه قبيح جدا لا يناسب براءتها، كان علي صنع خاتم من خشب أو حديد.

لا يا فايولت ليس كذا يعامل العاشق، ثم صرخت بي وكأنني عاقبتها.

- لا لا لن أفعل أبدا.

وحاولت أن تنسحب، لكنني أوقفتها، قبضت على كتفيها وقلت لها:

- كيف للفتاة أن تغار على رجل لا يخصها.

دفعتني هي إلى الوراء في محاولة فاشلة للتخلص مني.

- لا أغار ولا أحبك.

لكنها قالتها بألم المحبين، بدموع تعساء العشق؛ لذا ازدادت عزيمتي وكبر إصراري.

- فقط أخبريني بالسبب لعلي أتفهمك.

-لا جوش ابتعد عني.

بدأت تثير غضبي، ففقدت السيطرة على نفسي، وثبتها بقوة على الشجرة، صرخت بها معنفا:

- أمتلك الحق لأعرف.

هي الأخرى صرخت بي لتصدمني بالسبب قالتها بقسوة وبعينان تحملان الكثير من حقد الماضي، الماضي الذي لا أتذكره.

- لأنك جعلت من قتلي هدفا لك.

- لأنك طاردتني وأفسدت حياتي.

- لأنك خليفة الدكتاتور، وأنت أسوأ منه بمراحل، بل إنه يبدو كهاوٍ مقارنة بك.

ولأن حبك سيكون سبب هلاكي، أنت لم تكن أبدا بيدقا، بل أنت الملك.

هذه المرة دفعتني بقوتها الحقيقية، دون أن تخشى أن تؤذيني كما كانت تفعل، فأبتعد عنها مرغما بضعة أشبار، نجحت هي في الانفلات مني قائلة: - وأنت لا تمتلك الحق في معرفة أي شيء.

لم أجرؤ على اللحاق بها، فالحقيقة كانت أثقل من أن أهضمها في تلك الثواني القليلة، أنا الرجل المستهدف الأول، إما للقتل وإما للحكم، لكنني أرفض كلا الخيارين، كل ما أريده هي فايولت وحياة هادئة طويلة مملة.

أمضيت الليلة في الخارج، لم أبرح موضعي البارد، ورغم أنني كنت أرتعش بردا إلا أنني بقيت أفكر في نوع الشخص الذي كنت هو، هل تلطخت يداي بدماء الأبرياء؟ إن كانت تنظر لي بتلك النظرات الملتهبة بالغضب فلعلي فعلت ما لا يغتفر، بل إنها قالت أنني أسوأ من الدكتاتور بعينه، لكنني لا أتذكر أي من تلك الأفعال، بل إني لا أتمنى

سوى الخير لها ولكل من قابلته، أنا لا أهتم بما فعل هذا الجسد من قبل، كل ما يهمني هو أنني أمتلك روحا لا تنوي الشر لبشر، كيف أكون مذنبا لأفعال لا أتذكرها؟ أشرقت الشمس وظهرت معها لفائف التفاؤل، ليس لأن لدي ماضٍ عليل علي أن أتحمل تبعاته أنا أؤمن ببراءة روحي من أفعاله رغم أننا نشترك في الجسد والروح لكنني أختلف معه جذريا في الأفكار والطموح وحتما الأفعال، أنا لست هو، أنا أمثل أفكاري وآرائي، وإن تشاركنا الحمض النووي القلب والرئتان، أجزم بأنه ليس أنا.

دخلت إلى الكوخ الذي كان ساكنا كفراغ كوني، توقعتها نائمة، لكنها بقيت تحملق في نار الموقد تلتحف وشاحا قديما، لم تنتبه إلي، ظلت مكانها لعل مليار كلمة تدور في رأسها (أكرهه، أمقته، أحقد عليه). يا للمصادفة القبيحة التي جمعتنا، أتمنى لو لم أحبها كما أفعل، أتمنى أنني لو لم أولد كولي عهد أبي، أتمنى أنني لم أولد على الإطلاق، جلست مقابلا لها على الأرضية الخشبية القديمة، نعيما من الدفء يتلبسني، نظرات من الحزن تتفحصني، آه محروقة تأن بجانبي، أقولها دون أن ألتفت إليها.

– أنت تكرهينني، ولا ألومك، سأجعل حياتك أسهل حين نصل لوجهتنا، لنفترق، لن أنساك طالما بقيت تحت ناظري ولن تأمنيني طالما عرفت مسكنك.

تلتفت هي إلي وتسكب دموعا شفافة:

– نحن الاثنان حمقى، كيف لنا أن نعشق أعداءنا، و كأننا نعشق الموت نفسه، أنا لست أكرهك كنت أفعل، لكنني تغيرت، كل شيء تغير حين التقيت بك، كان علي أن أبلغ عنك أو أقتلك فور معرفتي بك، لكنك لم تكن القاتل الذي كنت أحسب، عشرات الفرص لقتلك زلت من يدي دون ندم ومع كل فرصة تمضي كنت أُسحب لحبك دون أن أشعر، كنت أغوص في رمال متحركة وكنت أعلم مدى خطورتها، في البداية أردت أن

أهينك كما أهنتني، أردت أن أحطمك كما حطمتني، أن أعبث بعقلك كما عبثت بي، كل مرة ترسل عملائك إلي لقتلي أو حتى لإيصال رسائلك المرعبة إلي، كانت إحداها (سأنتظر حتى تقعي في الحب ثم تتزوجي وتنجبي أطفالك وبعدها سأقتل أصغرهم ثم الآخر حتى أنتهي بزوجك وبعدها سأبقيك حية لتعيشي كل ذرة ألم وجدت في هذه الدنيا).

توقفت عن الكلام لتمسح دموع عينيها، وأنا شعرت بشيء من البهجة تلتمس قلبي، نعم سمعت كل ما هو سيء عنّا، لكنني سمعت ما يضمن لي حياة معها، ابتسمت دون أن أشعر: - إذن أنت تحبينني!

لكمت كتفي الأيمن بلطف عابسة.

- أيها السخيف أهذا ما عالجه رأسك، كوني أحبك لا يجعل حياتنا ممكنة أبدا، أنا لا أثق بك ولا أنت يجدر بك أن تثق بي، كل منّا لديه هدف أن يقتل الآخر وإن تجاهلته وإن فقدته ذاكرتك سيضل هدفا حيا في مؤخرة رؤوسنا.

اقتربت منها بسرعة وأمسكت يداها هاأنا أرى فرصة لي معها، كيف لي أن أتجاهلها، بل علي أن أقنعها بأي وسيلة كانت و بأي ثمن.

- كلا أنا أثق بك، كما أنني أفضل الموت على إيذائك أقولها وأنا أعنيها الموت ألف مرة خير لي من أن أمس شعرة منك بسوء.

عيناها تخفي أمرا ما، أفكارا غامضة تدور في عقلها، أشد على يداها

- تزوجيني يا فايولت، أضمن لك سعادتنا إن فعلت.

تقول بتوتر بعد أن تبلع ريقها:

- هناك طريقة واحدة لأثق بك ولك حرية الاختيار.

- موافق أيًا كانت، أنا سأفعل أي شيء لأكون معك.

دست يدها الصغيرة في معطفها ثم تخرجها وهي تقبضها بشدة، تبديها أمامي وتفتحها لتظهر حبة بيضاء صغيرة، وقارورة زجاجية شفافة صغيرة، لا يتعدى حجمها الثلاث سنتميترات تحمل سائلا أزرق.

- هذه الحبة هي سم سيقضي عليك خلال خمس دقائق، لكن الترياق داخل الزجاجة سيمنع الموت إن بلعته قبل أن تنقضي الخمس دقائق، علي أن أعرف أنك لن تكون حيا حين يتم القبض علينا، وحتى أتأكد عليك أن تبلع الحبة وتريني أنك تفضل الموت بصدق على أن تعدمني.

هذه الفتاة ليست سهلة أبدا لكنها على حق، لن أسامح نفسي إن أذيتها، ليست وحدها في خطر شخصيتي القديمة بل العالم بأسره يقع تحت خطر الانتقام.

عقدت عزيمتي على موافقة شرطها لكن سألتها أولا:

- هل سأتألم؟

قالت سريعا، وكأنها تنوي إخافتي بقدر ما تستطيع:

- كثيرا.

أخذت الحبة وقبضت على يدها اليسرى في محاولة مني لتشجيع نفسي على المضي بالأمر.

كانت هي الأخرى ترتجف، حبيبتي خائفة علي من شرطها المخيف، بلعت الحبة وبقيت أطالع عيناها فإن حصل خطأ ما فهذا آخر ما أتمنى رؤيته، وجهها الملائكي

وإن كان شاحبا.

- هل أنت بخير؟

قالت بقلق وهي تقيس حرارة جبهتي بيدها الباردة، شعرت على الفور بحرارة في معدتي فقلت لها:

- و كأن حريقا يلتهم معدتي.

ابتسمت بغرابة هي لتخيفني بحق، ثم احتضنتني بقوة وهي تقول:

- أيها العاشق الأحمق لن يحدث لك شيء.

تراجعت إلى الوراء وهي تقول:

- إنها ليست إلا حبة مخففة للصداع، السم في الزجاجة.

ضحكت بتوتر وقلت على الفور:

- أحبك أيتها الماكرة.

شعرت بالارتياح بعد أن ذعرت من فكرة خيانتها لي، أخرجت الخاتم من جيبي وأنا أجذب يدها اليسرى.

- هذا يعني أنك خطيبتي.

ضحكة بريئة ممتزجة بدموع لامعة صدرت منها، إنها السعادة نالت مني ومنها أخيرا.

- سأقبل بهذا الخاتم القبيح في الوقت الحالي، لكننا سنبدله بآخر فور وصولنا إلى روما.

- لك هذا أميرتي.

هممت بتقبيلها لكنها ابتعدت عني وقالت:

- احتفظ بها لبعد زفافنا.

قلبت يدها بدلا عن شفتيها، وقلت لها بأسف:

- أيضا لك ما أمرت به، لكن سنتزوج في أول يوم نقضيه في روما.

- ابتسمت هي بخجل وقالت:

- سيكون هذا مثاليا.

إنها الجنة أيها السادة، الجنة تسكن قلبي، قالوها مئات المرات (الحقيقة تحررك)، وهذا ما حدث بيننا عندما أخبرتني بكل شيء، هي لم تعد تخافني، وأنا بت أعلم من أنا، الحيرة لا مكان لها بيننا، إنه لمن المريح أن نسير في هذه الحياة بوضوح.

- يا إلهي...

صراخا يفزعني فأفز إليها، أتسلح بسكينة صغيرة قطعت بها تفاحتي، سلاحا ما في يدي تجهزا لأي هجوم مباغت خير من يد خاوية.

رأيتها هناك تقفز فرحا، حمدا لله، الأمور بخير، هي تنظر إلي فرحة بيدها كتاب قديم، وضعت السكينة جانبا وسألتها:

- ما الخطب؟

مسحت الكتاب بيدها ثم رفعت عيناها إلي.

- هذا الكتاب لطالما أردت قراءته، منذ أن رأيت الفيلم وأنا أتمنى قراءته، عالم من

السحر هاهنا قلعة هاول المتحركة بقلم.

- رائع.

لم أجد ما أقوله سوى رائع، لكنها حتى لم تسمعني بل انهمكت في قراءته بعد أن جلست أمام المدفأة.

إنها تقرأ طوال اليوم، أستطيع التنبؤ بتوترها، فموعد السفر إلى روما بعد أسبوع، سنسرق الطائرة الخاصة التي وجدها صديق والديها، هي تحتفظ باسمه سرا، متضايق قليلا من تحفظها لكن من يلومها، أعني أنا الشخص المجنون الذي أذاقها الأمرين في السابق، بل يجب أن أكون ممتنا لها فمنذ أن وصلنا نعمنا بالأمان.

- سأذهب إلى المحطة فايولت، هل ترغبين بشيء آخر عدا المكتوب هنا.

وأشير لها بالورقة التي كتبناها هذا الصباح.

ابتسمت برقة وهي ترمقني بنظرة كادت أن تصيبني في مقتل:

- احضر لي شيئا حلوا.

- ما ترغب به فايولت تحظى به فايولت.

أقولها وأنا أعني كل حرف، إنها تلك النظرة التي تحركني نحو أهدافها البريئة (قطعة حلوى) لقطعة من الجنة.

حليب، بطاريات، قهوة، وأي طعام معلب تستطيع ايجاده.

هذا فقط، هذه الورقة لا تحتوي على الكثير من الأغراض، من المفترض أن نحتفل بنهاية حياتنا هنا، وببدايتنا كمخطوبين حديثًا، المحل يخلو من الحلويات، أكره أن أعود لفايولت دون حلوى، أسأل صاحبة المتجر السيدة المسنة التي بكاد تسمع ما أقول

عن مخبز يبيع الكيك قريبا من هنا لكنها تجيبني: - لا أذكر أي مخابز قريبة من هنا، لكن إن كنت ستدفع سأصنع لك قالب كيك منزلي لكنه لذيذ، وصفة عائلية صمدت مئتان سنة.

أجبتها عل الفور:

- إذن ابدئي عملك سيدتي سأنتظر.

الكعكة التي خبزتها السيدة والتي تبدو مقبولة بل أرقيها لجيدة نظرًا للظروف التي تحيط بنا، وضعتها بعناية في المقعد بجانبي، تأكدت ثلاثا عن مدى استقرارها، بعدها حملت بقية الأغراض ووضعتها بإهمال في المقاعد الخلفية، أتخيل النظرة التي سترتسم على وجهها، وأقود السيارة بهدوء إلى الجميلة فايولت.

ما زال الوقت مبكرا على المغيب، سنكسب الساعات الأخيرة من نور الشمس، وأخيرا أصِلُ، أوقف السيارة على بعد ثلاثة أمتار عن الكوخ، وأخرج جميع الأغراض، وأدخلها الكوخ، كانت لا تزال فايولت تقبع على كرسيها الوثير تلتحف غطاء صوفيا رماديا، ترفع رأسها عن الكتاب وتقوم لتحييني بابتسامة عذبة.

- الغداء جاهز، لم آكل بعد.

قامت هي لتجهز الغداء فاصولياء حمراء مع الأرز، أعرف رائحتها فقد حفظت جميع روائح الطعام المعلب، قمت أنا لأرتب المعلبات داخل خزانة الأغذية، دقائق وصار كلا منا يحمل صحنه يقتات منه.

- كيف وجدت كتابك؟

- أحببته، كيف وجدت السيدة والي؟

- إنها بخير، عدا أن سمعها ينحصر شيئا فشيئا.

-هذا مؤسف، هل من الغريب أنني أشتاق لها؟ فأنا نادرا ما أراها!

-لا إنها سيدة لطيفة، سأشتاق لها أنا أيضا.

فايولت تستغرق وقتا طويلا في تناول وجبتها، سأكره أن يختفي عنا نور الشمس، أنا أنهيت طعامي في دقيقتين، بربك يا فايولت إنها خمس لقمات، من المؤسف أنني لا يمكن أن أقولها بصوت عالٍ، لكنني أقوم وآخذ صحنها من بين يديها وأضعه على الطاولة.

- أبقي مكانا للحلوى.

عبست متضايقة مما فعلت لكنها ابتهجت حين سمعت كلمة حلوى.

- أحضرت مهر الزواج إذن أيها الفارس المغوار.

قالتها بغنج وهي تسحبني إليها:

أمسكت بيديها وقبلتهما.

- صدقيني قطعة حلوى ليست أبدا كفؤا لك حبيبتي، حتى العالم لا يبدو كهدية تجزيك، لكن الآن هيا إلى الخارج، لنستمتع بنور الشمس قبل زواله، أمرتها أن تسبقني إلى شجرتها بينما أغسل أنا شوكتين، وخرجت من باب الكوخ لأراها تقف هناك، أنهمك في النظر إليها لأرتطم بمقدمة السيارة، وتألمت بشدة إلا أنني كتمت تأوهي، فكرامتي أكبر من أن أفسدها في هذا الجو الرومانسي، أخرج كيك الشوكلاته من موضعه في السيارة، تلتفت إلي حين أقفل السيارة، تبتسم بلطف ثم تعود ببصرها إلى حيث تغيب الشمس.

أناولها شوكتها فتقع عيناها على كيكة الشكولاته، اتسعت عيناها دهشة وارتفع حاجباها إعجابا بقدراتي:

- كيف وجدتها لا توجد مخابز هنا.

- السيدة المهذبة لا تسأل الشاب من أين له هذا.

تناولت قطعة صغيرة من الكيك.

- إنه طري جدا، أحبك يا جوش.

وفر فاهي كأحمق، لم أعتد بعد هذه الكلمة منها، لكنني تمالكت نفسي وحفظت كرامتي من أن تتذكرني كرجل نسي أن يقول:

- وأنا أيضا أحبك.

وأكلنا صحن الكيك بكامله ثم ذهب كلا منا لسريره، إنه فراق يومي يبدأ في الساعة التاسعة مساء وينتهي في الصباح على الأقل حتى يحين موعد السفر إلى إيطاليا.

- جوش، جوش. آسفة إذ أيقظتك لكن آثار الحساسية ظهرت علي.

استيقظت بصعوبة لكن أصبحت في كامل وعيي حينما لمحت وجهها، جلست على الفور، كانت البقع الحمراء قد ظهرت على غالب جسدها، كانت تربت عليها بقوة بين الحين والآخر.

- ماذا حدث لك؟

قالت وقد ارتاحت لاستيقاظي:

- لا أعلم إنها لا تظهر إلا في حالة واحدة، وهي إن أكلت الفول السوداني.

- لنذهب إلى المشفى الآن سيعرفون ما العمل.

وقمت على الفور ارتديت معطفي، وأخذت مفتاح السيارة وبدأت في ارتداء حذائي، لكنها أوقفتني وقالت بهدوء:

- اهدأ جوش الوضع ليس بهذه الخطورة.

-ماذا تعنين أنظري لنفسك!

يبدو أن حديثي أزعجها فقد عبست قليلا ، لكنها أخذت نفسا عميقا وقالت:

- كل ما أحتاج إليه هو مضاد الهيستامين من المحطة، كنت سأذهب لوحدي لم أشأ أن أزعجك لكن أشعر وكأن النار تستعر على جلدي، والحكة الشديدة تشتت تفكيري.

- حسنا لنذهب سويا.

كانت جاهزة بالفعل، صعدنا إلى السيارة، وبمجرد ما اشتغلت لاحظت خزان الوقود الفارغ:

- أوه لا.

- ما الآمر؟

-ستتوقف السيارة قبل أن نصل إلى نصف الطريق، نسيت أن أملأها بالوقود.

- سنكمل الطريق سيرا إذا.

- لن أخاطر بالسيارة قد تسرق سأذهب، أنا وحدي وسأعود بالوقود ومضاد الهيستامين.

ألصقت ظهرها بالمقعد معاندة:

- أنت لن تذهب دوني، سأرافقك.

- هيا يا فايولت عودي إلى الكوخ المريح، أنا مهرول سريع سأعود قبل أن تلاحظين غيابي.

كانت بالفعل متعبة، تبذل جهدا خرافيا لتمنع نفسها عن خربشة جلدها بأظافرها، قالت مستسلمة:

- حسنا، فقط كن حذرا يا جوش.

عادت هي تجر ذيول الهزيمة نحو الكوخ وبدأت أرفع كأس النصر مهرولا إلى المحطة، نال التعب مني خلال العشر دقائق الأولى لكن كلما أردت الوقوف تذكرت وجه فايولت وتربيتاتها السريعة على أنحاء جسدها، فأزيد من سرعتي أو هذا ما يخيل إلي، ربما قد أجري كسلحفاة لكنني أشعر وكأنني أنافس أسرع الأرانب على وجه الأرض.

المهم أني وصلت إلى منزل السيدة والي وطرقت الباب وأنا أنهج

السيدة والي اخذت وقتا طويلا لتفتح الباب، لكنها فتحته في النهاية وقالت مذعورة:

- ما الخطب أيها الشاب، أتعلم كم الساعة الآن.

- المعذرة سيدتي لكن فايولت تحتاج إلى مضاد الهيستامين، إنها تعاني من الحساسية.

- أوه هذا مؤسف أتمنى ألا تكون الكعكة هي السبب.

- لا أعلم، لكن علي أن أعود لها بالعلاج.

- حسنا بني سأحضر مفاتيح المتجر.

أخذت منها بغيتي وعبأت جالونا بالوقود وهممت بالرحيل لكن السيدة والي أوقفتني قائلة:

- وهل ستذهب سيرا إلى الكوخ، يا لك من أحمق، توجد دراجة هوائية في كراج منزلي خذها وأعدها لاحقا.

لا أنكر أنني شعرت بالإهانة لكنني فرحت بما قالت:

- أقدر لك هذا المعروف سيدتي.

وغادرت المحطة على أمل العودة السلسة إلى فايولت.

عندما دخلت الكوخ كان الوضع هادئا، صوت قطع الحطب المشتعلة داخل المدفئة مهدئ طبيعي للروح.

فايولت نائمة على أريكتها الخاصة بجانب المدفئة، أقترب منها فألحظ أناملها وقد صبغت بالأحمر، هي في النهاية لم تقاوم خربشة جلدها فقد تأخرت كثيرا، أيقظتها وقد سكبت لها كوبا من الماء.

- هيا فايولت تناولي الدواء.

استيقظت ومسحت وجهها بيديها، تناولت الدواء بكسل، وعادت هي إلى نومها في مقعدها غير الصالح للنوم، حملتها ووضعتها في سريرها، ابتسمت لي قبل أن تغط في نوم عميق.

- هذا المهر لا يحتسب أيها الفارس.

لم أستطع أن أكتم ضحكتي، لدي إحساس بأنها ستعايرني بالكعكة طيلة سنوات زواجنا.

أنا مرهق للغاية، فقط وضعت رأسي على وسادتي ورحت بدوري في نوم أعمق.

إنه الموعد للسفر، إلى المطار الخاص بالعائلة الثرية التي سنسرق منهم طائرتهم، لست متوترا بشدة حيث أن المستودع مهجور منذ عقد من الزمان، لا نحمل أية أمتعة لكنني سربت كتاب فايولت الذي أحبته معي، إنها عملية للغاية، لا أظن أنها طبيعتها لكنها قلقة، صعدنا إلى السيارة بعد أن رتبنا المكان امتنانًا للذكريات الجميلة التي خلقها لنا.

أعدنا الدراجة الهوائية إلى السيدة والي، وشكرناها على حسن جوارها.

-ليتنا نأخذها معنا.

هذا ما قالته فايولت بعد أن رحلنا مبتعدين بسيارتنا.

- يمكننا خطفها.

لكمت كتفي بلطف وهي ترمقني بنظرة حادة، ثم تعود ببصرها إلى حيث يمتد طريق السفر.

- لم تكن سخيفا في السابق.

قلت ببراءة مصطنعة:

- فقط أردت المساعدة.

لم نتحدث بعدها فكل ما نفكر به الآن هو الوصول إلى نابولي.

الفصل الثالث

فايولت:

في مستودع طائرات قديم مظلم، خَبأْت طائرة خاصة سرقها صديق والدي لهذا الغرض، للهروب من العالمين عالمي، وعالم جوش، لكن الشيء الذي لم أكن أتوقعه أن من كنت أهرب منه، هو من سيرافقني.

- إنها ترقد هناك، ممتلئة بالوقود جاهزة للفرار.

- هل تعلمت التحليق بها؟

ابتلعت ريقي وقلت بثقة:

- صديق والدي ترك لنا كتاب التعليمات بالداخل، لن يكون التحليق بها إلى السماء صعبا، وأما بالنسبة للهبوط سنستخدم المظلات.

إنه يثق بي، لم يتوتر حتى، كم هذا مريح أن أعرف بأنه شخص جيد، إنها غرابة الحياة، كيف لخصمي من حاول قتلي أكثر من أربعة مرات سابقا يحمل سم السيانيد في معطفه خوفا من نفسه علي، والأغرب أنني أبادله الثقة بالكامل.

يجرني إليه بيده التي يحيط بها خصري، ويقترب من أذني ليهمس:

- لنبدأ حياتنا الجديدة.

أغوص في أحضانه الدافئة، وأكمل تفاؤله الجميل:

- ولنترك ماضينا هنا.

يحيطني بذراعيه ووعده:

- سأقيم لك حفل زفاف يليق بك.

- وستكون لنا مزرعة في نابولي.

- وعائلة.

أبتعد برفق عنه وأستعجله:

- سيكون هناك وقتا كافيا للتخطيط عندما نصل إلى هناك.

يبتسم بسعادة كما أفعل، نعم السعادة تغسل ماضينا بشكل رائع، تطهرنا وتدفعنا للعيش السليم.

نعدو بخفة نحوها، في الظلام الدامس، حتى القمر امتنع عن الظهور تلك الليلة، اختفى خلف كتلة هائلة من الغيوم، مما يجعلني أشعر بأمان أكبر.

نصل إلى الطائرة، وبمجرد لمسي لجسم الطائرة تفتح أنوار المستودع القديم ليظهر أمامنا جيش من رجال الدكتاتور يوجهون لنا الأسلحة، يرتدون ثيابًا سوداء، حاولت أن أُخرج سلاحي لكن أحد القناصين الذي يختبئ في مكان ما يصيب يدي برصاصة، انفجرت دماء يدي وكسر مشط يدي، لكنني لا أشعر بألمه قدر ما تحرقني خيبة أملي، يتقدم قائدهم ويهدد بصوته الجهوري.

- حركة أخرى آنسة فايولت وستخسرين يدك الأخرى.

يقف جوش بيننا رغبة في حمايتي، ويتخذ وضعية قيادية واثقة، يستقيم ظهره ويوجه نظره إلى قائدهم ويقول بحزم وبقوة لا تليق إلا به: -أنا أعلم من أنا وما ستفعلونه بي، لكنّي أعدكم بإعدام جماعي لكل من يمنع رحلتي هذه، أنا وهي سنرحل من هنا، ولن

تفعلوا شيئا لمنعنا، أنا أعلن تنازلي عن حقي في الحكم، الحكم الدكتاتوري سقط منذ سنين ولن يعود.

ثم يعود إلى الوراء ليحتضنني بتوتر واضح، لم يكن ظاهرا عليه قبل قليل، ويسألني:

- هل أنت بخير؟

- علينا أن نذهب الآن وإلا فلن نخرج أبدا من هنا.

- سنفعل فايولت سنفعل.

لكن واقعنا الخائب يظهر لنا خمسة من الجنود الذين يخرجون من داخل الطائرة لينقض اثنان على جوش الذي يحاول المقاومة إلا أنهم يفقدونه الوعي بقطعة قماش مشبعة بالسائل المخدر، ويتجه اثنان نحوي، أعلم بمستواهم وكثرتهم لذا لا جدوى من القتال هنا، والآن أرفع يدي السليمة إلى الأعلى.

- أنا أسلم نفسي لكم.

يفتشني أقربهم لي، ويعريني من جميع أسلحتي، ثم يبتعد عني ليواجهني قائدهم الذي ابتسم بنية سيئة في داخله:

- كيف لك أن تحبي من حاول قتلك مرارًا وتكرارًا؟

نظر إلى جوش النائم على الأرض وأكمل.

- أوه لن تكون مفاجأة سارّة حين يصنع منك «روميو» جثة هامدة.

أبتسم لغرض إغاظته.

- استغرق الأمر إلى الأبد حتى تمكنتم من اللحاق بنا، لا أثق حقا بمستقبل جوش

إذا كنتم أنتم أفضل رجاله.

تتحول ابتسامته إلى تعبيسة حانقة ليصرخ بي وهو يسدد لكمة بكل قوته كادت أن تقطع أحشائي وتجبرني على السقوط تحت قدميه أصارع لنفس واحد، لكنني أفشل لعدة ثوان ثم أتمكن من إدخال الهواء لرئتي، سأعيش لعدة ساعات أو أيام على الأكثر حتى يقتل جوش نفسه أو يعود لوعيه.

لن أستسلم لهم، إن لم يعد جوش لطبيعته يمكنني تخليصه منهم.

يقطع تفكيري صوت قائدهم الأجش

-خذوهم إلى الطائرة سنسافر إلى المقر الأول، فليرافقنا عشرة جنود في الطائرة، والبقية يعودون إلى مراكزهم.

يحملون جوش بحذر فيما أعامل بقسوة، يجبروني على الوقوف ويدفعوني إلى الطائرة دون أية اعتبار ليدي الدامية التي للتو شعرت بآلامها، أتأوه وأنا أحاول مجاراتهم كي لا أسقط أرضا ويتم ركلي، يدي تلوث درج الطائرة فينزعج قائدهم، ويقول باشمئزاز: - إنها تفسد كل شيء بدمائها، ضمدوا لها جراحها بالداخل وقيدوا جميع أطرافها، لا أريد أن أخسر المزيد من الرجال بسبب تلك الضئيلة الحشرية.

يقيدونني على أبعد مقعد عن جوش، يعلمون بمدى تأثيري عليه ويخشونه، هذا نوعا ما مطمئن، تيبست عضلاتي على مدى ثلاث ساعات من الجلوس بلا حراك، و أخيرا وصلنا، أشعر بالطائرة تحط على الأرض، ينقلون جوش أولا مخدر بالكامل على نقالة يحملها اثنان، يؤرقني تساؤل، هل هذه آخر مرة سأراه فيها كجوش؟ أو قد يقتل نفسه قبل أن يفعلوا؟ هل أدعهم ربما هذا أفضل للبشرية أو ربما يمكنني إخراجه قبل أن يفعلوا فأنقذه والبشرية معا، علي أن أفصل عواطفي عن واجبي، علي أن أفعل ما هو

أفضل للعالم، وعودة خليفة الدكتاتور ليست من صالحهم أو صالحي، مر قائدهم من جانبي قائلا لجنوده: - خدروها وانقلوها إلى زنزانة القصر.

صحوت داخل زنزانة قديمة بلا نوافذ، أرضيتها حجرية قاسية، الركن الأيمن يحتوي على تواليت معدني صدئ، الزنزانة لها باب حديدي بنافذة في وسطه، لعلها لتسليم الوجبات، جسدي يؤلمني، وكأنهم قاموا بجره عبر غابة من الأشواك والأحجار، لكن يدي تبدو أفضل، لعلهم أخرجوا الرصاصة منها، وضمدوها جيدا، يا له من تعارض مخيف، بجانب الباب يوجد صحن و كأس ماء، أقف بصعوبة وأخطو نحو وجبتي، حساء عدس يبدو باردا لكنه يكفي ليسد جوعي، أجلس بجانبه وأحمل الصحن بيدي السليمة وأنهيه في دقيقة، علي أن أستعيد قوتي، إن أردت الفرار من هنا، أنتظر أحدهم دون فائدة، تمر ثماني ساعات حتى يطرق الباب، ويقول الحارس: - السيد يرغب برؤيتك، استلقي ووجهك مقابل للأرضية، وابقي ساكنة.

إنها فرصتي، يمكنني التغلب عليه وأخذ سلاحه، فلنأمل أنه فرد واحد أو حتى اثنان، أمتثل لأوامرهم، وأراقب سطح الأرضية بعينين متحمستين، يفتح الباب، ويدخل الحراس، عشرة حراس عددتها بحسرة، عشرون قدما حولي، ستكبل حركتي، لن أنجح بيدي المصابة هذه، لن أجلب سوى المتاعب لنفسي، يتجهز أحدهم لتكبيل يداي لكنني أمد يدي اليسرى إلى اقرب قدم لي وأسحبها بكل قوة أمتلكها فيسقط أرضا، أحاول أن أسابقه على سلاحه لكن ركلة عنيفة على جانبي الأيسر تقاطع مخططاتي، أتألم بشدة وأنا أتخذ وضعية الجنين، وأجبر نفسي على التنفس قدر المستطاع لكنه يستحيل بعد تلك الضربة ثوان فقط لأعود اتنفس لكن بجهد عظيم مني، يعود الراكل ويكبل كلتا يداي خلف ظهري ويجبرني على الوقوف ثم يضع غطاء أسودًا على عينيّ، ويقول: - فقط لنكون حذرين.

أقاد عبر ممرات عديدة، يميننا يسارا ثم أضعت الاتجاهات، ندخل مصعدا لنصف دقيقة إلى الأعلى، وخمس وعشرون خطوة، ثم نقف فيطرق بابًا ويجاب بصوت مألوف لي: (أدخلوها واخرجوا، سأبقى أنا معهم)

يدفعوني برفق إلى داخل الغرفة التي أشعر بنقاء هوائها، بل إن رائحة الخزامى تتنشر لتهدأ نفسي قليلا بعكس هواء زنزانتي الرطب المشبع بالعفن، والنور هنا ساطع يعبر الي عبر غطاء الرأس الأسود، يكشف الغطاء فيظهر لي السيد يانغ والد جوش بالتبني يبدو بخير لكن وكأنه كبر كثيرا خلال الأيام السابقة.

- أنا آسف لهذه المعاملة السيئة التي تتعرضين لها، لكن هدفنا الأول هو حماية السيد.

-تبدو أكبر أنت أيضا حقنت بالعقار؟

رد علي وهو يصب كأس ماء و يناولني إياه:

- وقريبا جوش، خذي اشربي جميعنا نعلم ما ينتظرك حين تعود ذاكرة جوش، لا أحد عليه أن يقتل وهو عطشان، وأنت كنت فتاة طيبة فايولت، من الغريب أنك لم تقتليه حين كان الأمر بسيط.

لم آخذ منه كأس الماء، فشربي للماء تعني موافقتي على ما سيفعلونه بي، علي أن أبدي رفضي لوضعي، وإن كان لا يعني شيئا سوى كرامتي.

-كما تشائين.

يقولها ويشرب الكأس على دفعات ثلاث ثم يكمل.

-عليّ تنبيهك أية حركة مفاجئة تصدر منك سيتم اغتيالك، لولا خوفي من تحقيق

جوش لتهديده لنا لما وافقت على المقابلة من الأساس، جميعنا نؤمن بمدى حرصه على تحقيقه وعوده.

أشار لي إلى باب آخر في يمين الغرفة، توجهت إليه وفتحت الباب، ظهر جوش الذي اندفع نحوي بمجرد رؤيتي، احتضنني بكل قوته وبادلته عانقته بكل ما أوتيت من قوة.

- حمدا لله أنت بخير، خشيت أنهم قد يقومون بأذيتك.

يتراجع إلى الوراء ويتفحصني جيدًا، ثم يسأل بخوف وكأنني أفصحت له بعينيّ:

- هل فعلوا؟

أجبته بمرارة علي أن أكسبه أكثر إن أردت أن أنجو:

- نعم حاولت الهرب وتلقيت ركلة في جانبي.

كشفت له موضع الكدمة، بدا غاضبا بشدة وهو يتحدث من بين أسنانه لأبيه:

- أنت قلت بأنهم لن يتعرضوا لها.

بدا الارتباك على السيد يانغ:

- أعتذر أيها السيد فهي لم تكن تحت عنايتي سأنادي لك القائد العام على الفور.

أشار جوش بيده:

- ليس الآن.

جرني إلى ركن الغرفة، وأمسك بكلتا يداي، وقال بشفاه مرتجفة:

- سيتم الأمر غدا صباحا، كان علي أن أراك للمرة الأخيرة.

كلماته تخيفني أنه ينوي حقا فعلها سينتحر الليلة، علي ألا أعترض فلن يمكنني

إنقاذه، وإذا عاد لطبيعته فلا يمكنني توقع حدوده في انتقامه لموت أبواه، على الرغم من رغبتي في اثناءه عن قراره إلا أنني علي أن أكون أكثر تعقلا من الماضي، فخطأي هنا لن يؤثر علي وحدي، إنما العالم أجمع سيعاني من قرار يتخذ بسبب عواطف قابلة للزوال.

- كن شجاعا لن يطول عذابك، فالسيانيد يعمل سريعا.

ابتسم بحزن ثم قال بألم:

- دعيني أحفظ ملامح وجهك فهذا ما أريد أن أراه حين أموت.

يا إلهي ما هذه الخناجر المسمومة التي تكاد تصيبني في مقتل، كيف سأعيش، من سيحبني كما يفعل، من سأحبه كما أفعل.

عيناي لا تصبران فتفيض دمعا وجسدي لا يقاوم عناقه للمرة الأخيرة، أتشبث به كما لو أنني سأندمج بجسده.

- جوش كيف سأعيش بدونك؟ أنا بالكاد أقف، حتى الهواء أشعر به نارًا تحرق رئتيّ.

يضمني هو إليه:

- أنت قوية يا فايولت، ستهربين، وستختفين عن العالمين السيئين اللذين يطاردانا، ستبدئين من جديد صفحة بيضاء كما خططت منذ البداية.

يطرق الباب ويظهر صوت السيد يانغ:

-انتهى الوقت عليها المغادرة الآن.

أبتعد عنه ببطء، وأعود أدراجي لكنني ألتفت إليه، وأقول:

- أرجوك لا تفعلها حتى أغادر الجناح، لن أحتمل صوتك وأنت...

قاطعني حتى التفكير في أذيتي بموته لم يحتملها.

- بالطبع، سأنتظر ساعة ثم سأ...

تحشرج صوته إنه يخشى الموت ككلنا، نعم إنه بشر والبشر يخشون الهلاك وأن تسببوه لأنفسهم.

غادرت الغرفة، وأنا أكاد أنتحب لكنني أتماسك أقفل الباب السيد يانغ فور أن تعديته، اقترب مني الحارس الذي سيرافقني إلى خارج الجناح لكنني ألتفت إلى السيد يانج.

-هناك زجاجة سم سيانيد في معطف جوش مخبأة بين الزر الثالث والرابع سيقتل نفسه أن لم تصادرها الآن.

بدا الفزع على وجه يانج ووجه حديثه نحو الحارس:

- كبلها الآن.

وانقض داخل غرفة جوش الذي صرخ غاضبا

- ماذا تفعل؟ اترك معطفي، لا لا.

عاد يانج، وفي يد اليمنى الزجاجة الصغيرة، ويده الأخرى تحمل المعطف الأسود.

تبعه جوش حاول أن ينزعها منه، لكن يانج أسكته بلكمة أسقطته أرضا، ثم فتح النافذة ورمى الغرضين دون تردد، أقفل النافذة، وقال: -لا يمكنني السماح لك بالانتحار، أنت ابني قبل أن تكون قائدي، ربيتك لخمس سنوات، عودة ذاكرتي لا تمسح مشاعري ومسؤوليتي نحوك، فقدت والدتك ولن أفقدك الآن.

جوش يقف بصعوبة ويتوجه نحوي ثم يحتضن وجهي بكفيه محطما مستسلما، قائلا:

- جميلتي فايولت لم يكن خيارك لتتخذيه، قتلك وأذية العالم، أفضل الموت ألف مرة بألف سم قبل أن أرتكب تلك الذنوب، لمَ يا حبيبتي، لمَ فعلت ما فعلته؟

- عليك أن تمنح لنفسك الفرصة، أنت شاب رائع وربما ستتغلب على...

- كيف لك أن تعلمين، أنت قلتها أردت قتلك منذ أن كنت طفلا، كيف للنسخة البالغة مني ستكون أفضل.

همست له في محاولة أخيرة لدس الأمل في قلبه:

- فقط تذكر كيف كنا نشعر عندما نكون معا.

يتراجع إلى الوراء مذهولا، لينشغل في همه العظيم، هل كانت أنانية مني أن أقتل أنا بدلا عنه، هل فرطت في حق العالم بالاستقرار، أم أنني غيرته إلى الأفضل وشفيت جرحه، أظن أنه علي أن أنتظر وأتفاءل بالأفضل فلا رجعة فيما فعلت.

مرت ثلاثة أيام منذ أن رأيت جوش، لا شيء يدل على تغير الحال، فالطعام والمعاملة كما هي، أترقب خطواتهم وكأنهم هو لكن لا أثر له، أكره لحظات الترقب اللئيمة، من سيعود جوش أم كارتر، الخير أم الشر، الحياة أم الموت، الحب أم الحقد، الموت خيرا لي من الانتظار وسط ظلام الجهل، صوت خطوات متعددة تقترب، ليست لاثنان أو ثلاثة بل أكثر، أكثر من ستة أشخاص يسيرون باتجاه زنزانتي.

أقف مستعدة لما سأواجه خيرا كان أم شرا..

أهمس لنفسي، وأنا أغمض عيناي، وكأنني سأغير ما بالخارج.

- كن خيرا، كن خيرا، كن خيرا.

أصوات تكتكة الباب، تزيد من ارتباكي الذي أخفيه بأخذ أنفاس عميقة، يدخل ثلاثة حراس، أولا ثم شابًا أنيقًا للغاية يرتدي حلة فاخرة سوداء، وحذاء فارها أنيقا، إنه هو جوش لكنه أطول وأكثر نضجا، حليق الوجه منمق الشعر قصره كثيرا فظهرت ملامحه الوسيمة، أحببت التغيير الذي رأيته لكني أخشاه، إنه الكابوس الذي يؤرقني طوال حياتي، وهاهو يقف أمامي الآن بشحمه ولحمه، عدت خطوة إلى الوراء بحركة لا شعورية لحمايتي، لكنه اندفع نحوي وعانقني بشدة ثم تراجع ونظر إلى عينيّ بنفس عينا جوش، وكأن روحه لم تتغير لم تتسخ بحقد الماضي.

- أنا آسف للغاية، حاولت أن أزورك أبكر لكنهم منعوني، أنت على حق، كان علي أن أثق بك.

يا إلهي هل نجحنا فهزمنا الماضي احتضنت وجهه بكفي وهمست:

- أحقا هذا أنت حبيبي.

لم يجبني إنما ضمني إليه مرة أخرى برقة، ثم قال بعد أن تراجع قليلا مركزا عينيه بعيني:

- لم تغادري تفكيري دقيقة واحدة.

وفي جزء مهم من الثانية تحولت ابتسامته اللطيفة إلى أخرى خبيثة، ودفعني بقوته الكاملة إلى الجدار لأرتطم بشدة وأسقط أرضا في ذهول، الآلام الرهيبة تعصف بي رأسي وكامل ظهري وكأنه تحطم لفتات، قلبي هشم إلى ألف قطعة، أي عنف يحمله بداخله ضدي ينهمك في ضحك هستيري مخيف، يرتفع صوت قهقهاته المجنونة لتغطي الطابق بأكمله، يهدأ قليلا ثم يخاطب حراسه: - هل رأيتم وجهها لا أصدق بأنها أكلت

الطعم، آه ليتنا صورنا وجهها الجميل وهو محط السخرية، أوه حسنا يبدو أنني سأكتفي بلقطات كميرا الحراسة.

ثم يعود إلي وينحني بمستواي ثم يقول:

- لم أكن أكذب فقد فكرت في مئة طريقة لقتلك خلال الثلاثة الأيام السابقة، القتل أمرا سهل لكن التفنن به هو ما يؤرقني، هدي في خلال سبعة عشر عاما يستحق قتلا ملحميا.

الدوار العنيف يمنعني من التركيز وفهم ما يحدث حولي، فايولت ما فعلت يا فايولت، هل دمرت العالم بيديك الصغيرتين، وقراراتك التافهة، لم يكن علي فعل ما فعلته، وما ينفعني الندم الآن، وقد فقدت جميع دفاعاتي، يخطو نحو الباب ثم يتوقف، ويقول: وهو يلتفت إلى حارسه.

- لا تقدموا لها سوى زبدة الفول السوداني، فخطيبتي فايولت لديها حساسية فضيعة منها، سيكون مضحكا إن أدمت جلدها من فرط الهرش، يصمت لثوانٍ وكأنه يتخيل منظري وأنا أمزق جلدي كما فعلت في السابق ثم ينفجر في نوبة ضحك هستيرية مخيفة نوبة تأكد لي جنونه.

إنه الأسوأ حقا، يغادر ويترك جسدي متألما وروحي متندمة، أنا حقا هالكة لا محالة.

يمر يومين دون أن أتناول ملعقة واحدة مما وضعوه لي، فقط رشفات من الماء تكفيني، أكره أن أمنحه المتعة التي يتغذى عليها شره.

وفي صباح اليوم الثالث، وصلتني دعوة فاخرة للغداء، ورقة مخملية بيضاء، كتب عليها باللون الأحمر، الغداء الساعة الواحدة ظهرا.

يقودني الحرس هذه المرة دون أن يغطيان عينيّ، ندخل إلى مصعد فاخر تتميز أركانه بزخارف ذهبية استثنائية، يضغط أحد الحارسين على الرقم ثلاثة، في المصعد خمسة أرقام هذا دون أن نحتسب القبو الذي كنت فيه للتو وسطح المبنى، إنه مبنى كبير وفاخر لكنه قديم، الطابق الذي دخلناه يبدو كفندق، ممرات طويلة وأبواب مرصوصة، الشيء الوحيد الذي افتقده هي تلك الأرقام على الأبواب، يقفان عند أحد الأبواب ويفتح أحدهما: - يوجد كل ما تحتاجيه للتجهز للغداء.

كانت كغرفة فندق عادية متوسطة المستوى، يتصل بها حمام متكامل، أتمنى ألا أساق للقبو بعد الغداء، وجدت على الأرض حذاءً أسودًا ذا كعب عال من ماركة ديور، ومعلق على الجدار

فستان أخضر بأكمام تنتهي عند المرفقين، وله نفشة بسيطة، إنه يذكرني بفستان كنت أحبه كثيرًا، إنها ذكريات جوش تتداخل مع تصرفات كارتر، وضع على السرير علبة شوكلاه، وتحتها علبة أخرى مخملية، فتحتها لأجد أجمل عقد من الياقوت يتلألأ وكأن ألف نارًا تتسعر بداخله، وبطاقة داخل العلبة كتب عليها: شيئا ليتماشى مع جمال شعرك.

ذاك المجنون لن أفهمه أبدا، أخذت حماما دافئا، وارتديت كل ما أحضره، خرجت وبيدي علبة الشكولاه ناولتها لأضخم الحارسين وقلت ببراءة: - هدية.

نظرا إليّ ببلاهة، لا ألومهما فأنا بذلك اختبر غيرة خليفة الدكتاتور وهما فأرا تجاربي، ساقني إلى المصعد ركزت على صورتي في المرآة، لا أودّ أن أصف نفسي بالمغرورة لكنني بالفعل أدير الرؤوس، أقف بثقة أمامهم لكن زلزال من القلق يهزني من الداخل، تفتح الأبواب لتظهر لنا صالات الطعام الفاخرة، تميزت باللونين الأبيض،

والأسود وورق الجدران الفاخر الأبيض بنقوش دقيقة باللون الفضي، أكره أنني أحببتها، الثريا الكريستالية الرقيقة زينت السقف العالي، ومن بعيد من آخر القاعة الواسعة ظهر من باب فاخر.

كان رجلًا واحدًا لكن يمتلك هيبة جيش، يخلفه ستة رجال في صفين متجاورين، أعترف لثوان فغر فاهي بسببه، كل ما اقترب منا، زادت مستوى جاذبيته، إنه يستعرض قوته في وجهي، وقد نجح في إبهاري من حسن حظي أني تمالكت نفسي من قبل أن يلاحظ، كان يمشي بخيلاء لكنه تضايق وأفسد مشيته المتعالية حين لاحظ علبة الشوكلاته مع أحد الحارسان، قال ونظرة شرسة تنطلق من عينيه: - لمَ هذه معك؟

ارتبك الحارس المسكين، وقال في توتر:

- هي أعطتني العلبة.

رمقني بنفس النظرة، وابتسمت أنا في وجهه أغمض عيناه لثانية ثم ابتسم لي متجاهلا غضبه، وشكل يده على هيئة قوس أمامي.

- دعينا لا نفسد عشاءنا.

أدخلت يدي في تجويف يده ومشينا، كان هو يقود الطريق، وأنا أسايره، غيرته فضحت مشاعره نحوي، قد لا يكون حبا صافيا، لكنه حبا على أية حال.

انتهينا عند غرفة خاصة، توترت أكثر وبدأت يدي في الارتجاف فسحبتها من داخل يده، لكنه بدا وكأنه انتصر.

- هيا يا فايولت، الجميلات لا يرتبكون.

- شخص بقبحك كيف له أن يعرف.

وابتسمت رغم خوفي منه لكنه ابتسم هو الآخر.

- أوه لديك لسان لاذع عزيزتي.

فتحت الأبواب، كانت غرفة طعام خاصة متوسطة الحجم، ينصفها طاولة رخامية بيضاء مستطيلة، تحيط بها ستة كراسي.

سحب هو لي الكرسي الخاص بي، فجلست ثم جلس هو على رأس الطاولة، بدأ الخدم في إحضار الأطعمة، حساء الكريمة بالدجاج أولا، كنت جائعة جدا لكنني تمسكت بإتكيت تناول الطعام، بعدها حان وقت المقبلات قدم لنا فطرا محشوا بشيء طري كالجبنة لم ألاحظ لذته إلا في آخر لقمة، كل ما كان يهمني هو أن أملأ معدتي لأسكت ذلك الألم البغيض، بعدها قدم إلينا طبق من قطع اللحم المشوية بجانبها خضروات مسلوقة أكلت ربع صحني لأشبع بعدها تراجعت لأسند ظهري على الكرسي، بعدها قال هو: - في هذه الحياة أيتها الغالية فايولت كل منا يمتلك حرية الاختيار، وإن كانت ضئيلة إلا أنها تعتبر حقا حرية،

كاختياري للعقار الذي يسحب عشر سنوات من عمري لأختفي عن العالم الذي لا يسترخص اغلى الأثمان للعثور علي و إعدامي، رغم معرفتي بأثاره الجانبية التي كرهتها فقدان الذاكرة و نسيان كل الحقد و الغلّ تجاهك، اخترت مصلحتي اخترت ان اختفي لفترة من الزمان حتى و ان عنى هذا فقدان ذاكرتي و العيش كشاب معدم وسط عائلة مدبرة ، اخترت كما سأختار دائما أخترت ان اعيش

حرية الاختيار بين الحياة و الموت

وهذا ما سأقدمه لك:

أولا، يمكنك البقاء بجانبي، والتمتع برؤيتي أؤدب الثوار بيد من حديد، أو بالأحرى

برصاص وقنابل، سنتزوج ونعيش معا، سنكون كالجميلة والوحش تماما.

أجبته وتكشيرة عدائية تعلو شفتاي:

- قل أقرب إلى الغبية والمجنون.

أطلق ضحكة هستيرية عالية زعزعت جسدي، من الواضح أنه يستمتع بوقته جدا، يهدأ ثم يأخذ نفسا عميقا، ويقول:

- لا، لنتحدث بجدية، ما زلت أكن لك بعض المشاعر في مكان ما من قلبي.

أنا أيضا ما زلت أحبه لكنني لست بالجنون الذي يظن، سأتزوجه فقط إن ...

- العالم هو مهري، اترك العالم وشأنه وسأتزوجك.

تراجع ليلصق ظهره بالكرسي الخاص به.

- أعتقد بأنني قلت يوما بأن حتى العالم لن يجزي فتاة بجمالك.

شعرت بالراحة تسري في أنحاء جسدي، لكنه قال حين لاحظ استرخائي:

- أوه أتمنى ألا تكوني قد صدقتي؟ بالتأكيد كنت تعرفين أنها مجرد مجاملة، يا إلهي هذا محرج جدا.

لم يكن إحراجًا بقدر ما كان خيبة أمل كبيرة، فأكمل هو:

- إذن لننتقل لثانيا، سأعطيك فرصة قتلي، لن يتدخل فيها أحد لحمايتي، يمكنك حقا إنقاذ العالم من يدي فقط عليك التغلب علي.

تمعنت النظر في ابتسامته، ابتسامته الوسيمة الخبيثة، إنها تحمل الكم الهائل من الثقة مع خليط من المشاعر السلبية نحوي، ونحو عالم أنتقم منه لسبب لم يكن يفهمه،

ولكنه يفهم الآن نعم، ويمتلك القدرة على الانتقام لنفسه، ابتداء بي وانتهاء بالعالم، إن لم أمنعه الآن ستفتح أبواب الجحيم على مصاريعها، وستلتهم أرواحا بريئة ولن ينعم أبدا بالشبع، علمت ما علي فعله، لست أمتلك ما يكفي لتغييره لكن ربما لدي ما يكفي لقتله.

وقفت وسحبت سكين الفضة الذي بجانب طبقي، تصحيح خطأي هو كل ما يشغل بالي الآن، يمسح فمه بمنديله الأبيض.

- لنلعب لعبتك إذن.

أنقض عليه في محاولة مني لقطع وريده، لكنه يقف سريعا ويبتعد عن طريقي، لمحته بطرف عيني اليسرى، حاولت الالتفاف عليه قبل أن يتمكن مني، لكنه قبض على عنقي بيديه اليمنى فيما سدد لكمة عنيفة على جانبي الأيسر لأتأوه بألم، وأفقد السيطرة على جسدي، يدفعني هو نحو الطاولة ويثبت رأسي بجانب صحنه: - أوه لم تظني أنني سأجعل الأمر سهلا فقط لأنني أحببتك.

لم أنطق بحرف، كنت أجاهد لأدخل نفسا إلى صدري، فيما تراجع هو عني تاركني لأجلس على الأرضية لثانية ثم التقطت سكينتي التي سقطت على الأرض مع سكينته سلاحان خير من واحد، هذه المرة سأكون حذرة سأجعله هو من يبدأ، وقفت ودرت باتجاهه وجدته يقف متكأ على الجدار ينتظر حركتي المقبلة، لكنني أتراجع إلى الجهة المعاكسة منه، دسست إحدى السكاكين داخل فستاني عبر شقين صنعتهما بالسكين، لست واثقة من نجاحي بطريقتي هذه لكنني على الأقل أحاول، والآخر احتفظت به في يدي اليمنى.

- هكذا إذن تريدنني أن أبدأ الهجوم، كما تشائين أميرتي.

أقبض بمنتهى القوة على سكينتي فيما هو اعتدل واقفا متقدما مني بثقة عالية، إنه مدرب جيدا على عكس توقعاتي، لم يكن أبدا هكذا، يرفع أكمامه وكأنه يتحضر لوليمة شهية، أنا لم أدرب لأقاتل محترفا لكنني يمكنني المحاولة، خائفة منه ومن آلامي المستقبلية، إنه يبدو مهيبا، مسيطرا ، نهما، أما أنا أشك في مقدرتي على التحرك، يقترب أكثر فأكثر، وتتسع ابتسامته لي، لم يحتاج أن يتحدث فهيئته تعلن عن نيته نحوي، يتقدم شامخا بطيئا قبضته اليمنى مشدودة استعدادا لأذيتي، يفاجئني بحركة سريعة فيسدد لكمة نحو وجهي، لكنني أُسقط نفسي أرضا فترتطم يده بالجدار مصدرة دويا مكتوما، أنتهز الفرصة فأغرس سكيني بساقه اليمنى بكل ما امتلك من قوى، ليتراجع متألما ويسقط أرضا، رائع إنه الآن هدفا سهلا لي، أسحب سكيني الأخرى من مخبأها وأقف مصوبة سكينتي على قلبه منطلقة نحو جسده الملقى على الأرض منشغلا بمعالجة جرحه، نعم سأتمكن منه سأنهي الأمر لن يقتل أحدًا، أهوي عليه وسكيني تستهدف قلبه، لن ينجو مني، لكنه يرفع رأسه و تتصل عيناه بعيني لم يكن حتى خائفا مما أفزعني ذلك كثيرا، رفع يداه وقبض على يداي، ودفعني سريعا إلى يمينه ليقلبني على الأرض ويعلوني مثبتا يداي بيد واحدة فوق رأسي، بالكاد أتنفس من ثقله على بطني، ينزع السكينة من ساقه بيده الحرة، ثم يمررها على رقبتي أشعر بها تكاد تخترق جلدي الرقيق، أحاول التملص منه لكنني أفشل كل مرة، أنا تحت رحمته بالكامل، يقول: – متفاجئة؟ تبدين خائفة أيضا، ترى ما الذي يمكن أن أفعله بهذه السكينة.

ينحني علي أكثر لتصل يده إلى يدي، لا يقطع اتصال أعيننا فأغمض عيناي هربا منه، فهذا كل ما أقدر النجاة منه، حرمانه من عيناي الفزعتان هو ما سيكرهه الآن، أشعر بأنفاسه الحارة على وجنتي، آلام حادة تنتاب ساعدي فأعلم بأنه غرس السكينة

فيها بقسوة، حاولت الصمود لكنني لم أحتمل فصرخت متأوهة مما يجري بي، يمتد الألم ويزداد مع نزول السكينة عبر جلدي تمزقني بلا رحمة، أفتح عيناي رغما عني ودموعي تنذرف على جانبي وجهي، وجهه المشوش أبتعد قليلا عني، لأنتهز الفرصة رغم آلامي فأرفع رأسي كي ارتطم برأسه، يخل توازنه لثانية وأنجح في التملص منه، أقفز إلى الوراء سريعا متجنبة أي احتكاك به.

تتدفق الدماء خارج أجسادنا بسرعة رهيبة، من الجيد أنه لم يأخذ سلاحي الوحيد، يستعيد توازنه ويقف سريعا يبدو غاضبا بشدة، يرمي السكينة على الأرض ويسحب خنجرا من جيب أقرب جنوده.

- يمكنك اللعب أيتها القطة، لنرى إن كنت تجيدين الموت أيضا.

يدي التي أعتمد عليها لم تعد نافعة، بل إنها تسرب دمائي الثمينة على الأرضية، سيسبب لي هذا فقدان للوعي في الدقائق القادمة، أضمها نحو صدري في محاولة لوقف النزيف، وأسلم سلاحي ليدي اليسرى، أستعد لهجومه الثاني، أشعر بالضعف، يدي ترتعش بشدة مما يجعل أمر التصويب عسيرا للغاية، هو يدور حولي كفهد جائع محاولا اكتشاف أفضل موقع لبدء حركته.

بعد عدة مناورات، وبعد أن امتزجت دمائنا ببعضها تحت أقدامنا، بطُئَت حركاتنا وصار ضعفي واضحا مقارنة به، كنت منهكة وألهث بشدة، وكأن الهواء قد بدل بالماء، وكأنه لا يكفي لبقائي حية، شعرت بيده القوية تحيط بي تكبل يداي خلف ظهري بإحكام، هو أيضا يلهث متعرقا ملتصقا بي، لا أقدر على المقاومة بل حتى الوقوف صار عسيرا علي، جراحي تنزف لأصاب بدوار مر يجبرني على الاتكاء عليه، أشعر به يبتسم شماتة بي وبضعفي بوهن لا طاقة لي بصده، بيده الأخرى يرفع خنجرا باردا

يلصقه بوجنتي، ويهمس لي: - أفضل وقت أمضيه على الاطلاق عندما أكون معك، وكأنني بالفعل أحبك.

يضغط الخنجر على خدي أكثر فأجرح لتتسرب دمعة دماء ساخنة تسيل فتلوث خنجره، يسحبه ويمسحه برفق على طرف فستاني ثم يعود هامسا لي: - أليس غريبا أننا نجونا من جنون العشق، أذكر مشاعري وكأنها كانت ليلة البارحة، كنت أبكي كطفل مدلل خائفا من أن أؤذيك، كم كنت سخيفا لا أصدق بأنني كنت سأفني حياتي الثمينة من أجل هدف قد قررت قتله منذ الصغر.

رددت عليه بنفس ضعيف:

- وهذه هي المشكلة، أنت لم تجن بحبي كي تترك أهدافك، وأنا لم أجن بك لأتغافل عن ظلمك.

شدني إليه أكثر..

- لا أنا كنت مجنونا كنت سأزهق روحي، كنت سأموت مسرورا وأنا أعلم أن في قراري حياة لك، أتذكر كيف كنت أشعر بجوارك، كيف كنت أفكر بك، كيف كنت أخطط، حفل زفاف، منزل وأطفال، لك وحدك سأبذل المستحيل، سأخاطر بكل شيء بإرثي، مكانتي وحتى ذاكرتي، أوه يا فايولت قد كنت سعيدا، ما زال طعم سعادتنا يتراقص على طرف لساني كقبلة شهية لم نحظَ بها.

اعتدل في وقفته وأدارني بقوة لأواجهه، ودفعني نحو الجدار ليتسخ ورق جدرانه الفاره بدمائي، ثم يقترب مني وقد تبسم بخبث ملوحا بخنجره أمام وجهي، ثم يضعه برفق على موضع قلبي ويقول بصوت حاقد لا يسمعه سوانا: - أتذكر كل شيء حبنا العظيم هوسي بك لشهور، لكن لسوء حظك أتذكر ما قبل كل شيء مقتل والدتي بسبب

والداك والوعد الذي قطعته عليك.

شعرت بغضبه، بحقده، بنيته الصادقة في الانتقام، فعلمت أنه لا يفصلني عن مقتلي سوى ثوانٍ أو سنتميترات قليلة، لا أعلم لمَ لكنني قلتها بمشاعر مماثلة، وعيناي لا تفارق عينيه إن كان سيقتلني فليتذكر آخر نظراتي له إلى الأبد.

- إن أردت أن تقتلني فافعلها بخنجر من جليد لعله يطفئ نارا سعرت في قلبي جراء تركي لك حيا،

أخذ نفسا عميقا وابتعد عني بعد أن أغمض عينيه لثوانٍ يفكر بها.

- لا ليس الآن يا حلوتي، ما زال أمامنا الكثير لننجزه، مدرسة لنعود إليها وأشياء أخرى.

غادرني لأنهار جالسة، تعبت من الهجوم ومن الدفاع، ليتهم يدعونني أنزف حتى الممات، يلقي نظرة أخيرة علي ثم يأمر رجاله: - عالجوا جراحها لا أريد قتلها، وبلا تخدير فأنا أخشى على خطيبتي الجميلة من آثاره الجانبية.

سيخاط جلدي الممزق بلا أية مسكنات، إنه يستمتع بلعبته القبيحة معي، يا ترى لكم من الوقت سيمضي بي هنا تحت رحمة عجرفته، همست بعد أن أدار رأسه عني:

- عليك اللعنة.

التفت إلي، أخافني حقا حتى عضضت على لساني المتهور، تأملني لثوانٍ فظننت أنه سيأمر بقتلي لكنه قال:

- سمعت ما قلته.

و غمز لي بعينه اليمنى وهو يبتسم وكأن لا ثأر بيننا، ثم غادر أخيرا بعد أن قشعر

جسدي بنظرته التي تكاد تكون ودودة لكني أعلم إن كانت منه فهو ينوي التلاعب بي، وبقلبي الأحمق الذي لم يقع إلا لخصمه.

في الليلة التالية على سطح القصر...

يقف كارتر خليفة الدكتاتور وبصحبته حرسه الخاص الستة أشخاص الذين يرافقونه تقريبا في كل مكان، والده، قائد الجيش، والقناص الذي أصاب يد فايولت.

يقفون الثلاثة على حافة البناء، الموت هو ما يخلفهم، خطوة واحدة إلى الوراء تعني جماجم مهشمة، لسوء حظهم الرياح كانت شديدة تلك الليلة، كل واحد منهم كان يرتجف بردا وخوفا، جميعهم يعلمون ما اللعبة التي تدور في رأس كارتر.

كارتر يمشي أمام ثلاثتهم بعرجة بسيطة نتيجة إصابته على يد فايولت في الليلة السابقة، يتكئ على عصا سوداء ذات رأس كرستالية شفافة، قال كارتر بصوت جهوري: - أظنني وعدت بإعدام جماعي.

لم تصدر كلمة من أفواه الثلاثة، فقال محاولا تذكيرهم بطريقة ساخرة:

قبل ليال كثيرة، ساحة واسعة بها طائرة، سعادة وردية تحت تلك الغيمة العملاقة، قناص أحمق أصاب يد خطيبتي.

ثم وقف أمام السيد يانج والده بالتبني وقال وهو يضغط على أسنانه مغتاظا:

- كنت سعيدا وقتها.

قال السيد يانج:

- أنت تعرف أنني لم أكن موجودا هناك.

قال كارتر:

- كنت موجودا في القصر كان يمكنك أن تهربنا.

يانج:

- يمكننا إعادة مسح ذاكرتك.

أكمل كارتر المشي وهو يقول:

- فات الأوان فقد أيقظت الوحش.

وقف هذه المرة أمام قائد الجيش.

- أعطيتك أوامر واضحة بتركي أمضي في طريقي لكنك أصريت على إفساد حياتي.

قال القائد بحزم:

- أعطيتني أوامر في السابق بإيقاظك وإن فشلت في مهمتي وعدتني بالإعدام.

ضحك كارتر بحرج، وقال:

- المواقف المحرجة التي أسببها، أنا حقا لا أريد أن أكون في مكانك الآن.

أكمل طريقه حتى وصل للقناص، وقال بابتسامة شامتة:

- أنت تافه لدرجة أنك لا تحتاج إلى تفسير مني.

عاد إلى والده وقال وهو يمشي بمهل أمام الثلاثة، لنلعب لعبة، لعبة ظريفة، كان والدي يلعبها مع الخونة، كان يرصفهم كما أنتم، ويقول ببطء: (إيني ميني ماييني مو من سيبقى من سيرحل ومن سيلقى عليه اللوم) عادها مرة أخرى وقال كلمة (من سيرحل) وهو يقف أمام القناص ودفعه بقوة بعصاته الكرستالية، سقط الرجل وهو

يصرخ لكن سرعان ما انكتم الصوت، ألقى كارتر عليه نظرة مهملة، وأكمل مشيته الهادئة نحو القائد، وعندما قال (ومن سيلقى عليه اللوم) كان يقف أمام القائد الذي قال بنوع من الحزن: لكنني فعلت ما أمرت أنت به.

قال كارتر بحنان مصطنع:

- أعلم.

ثم دفعه هو الآخر ليسقط جثة هامدة أمام القصر.

قال كارتر لوالده وهو يقف أمامه:

- وأنت يا والدي، نت ستبقى دوما إلى جواري.

قال السيد يانج ساخطا:

- هل كان عليك أن تجرني إلى هنا في هذا الوقت فقط لنلعب لعبة الموت هذه.

أحاط كارتر والده بالتبني بيده، وقال:

- كانا اثنين فقط واللعبة لا تجوز إلا بثلاثة.

الفصل الرابع

مرت أربعة أيام منذ أن عدت إلى غرفتي الجديدة، جراحي ما زالت تؤلمني إلا أنها نظيفة وتلتئم كما يجب، لو أن الملل يقتل لكنت ارتحت من هذا المكان، صوت خطوات أقدام الرجال تقترب، إنه بالتأكيد كارتر، أجلس على الكرسي الوحيد في الغرفة مرتدية منامة بيضاء، وضعت رجلا على الأخرى وشبكت يداي على ركبتي، طرق الباب ثلاثا ثم دخل كارتر مرتديا بدلته السوداء المعتادة، يبدو أفضل حالا مني، اقترب مني كثيرا وقال: - يا إلهي فايولت لدينا حفلا لنذهب إليه.

- عن أي حفل تتكلم؟

ضرب جبينه بخفة قائلا:

- لا تقولي أنك لم تدعين إلى الحفل الراقص الخاص بمدرستي الثانوية؟ رسميا لا زلت طالبا هناك.

تراجع إلى الوراء، وقال لحارسه:

- كيف لي أن أكون بهذه الفضاضة، جيم أحظر الوردة.

أحظر الحارس جورية حمراء مخاطة بسوار قماشي ألبسني أياها في يدي اليمنى دون تردد وقال:

- هلا أصبحت رفيقتي؟

- لا تدخلني في دوامة جنونك.

اقترب أكثر، وهمس داخل أذني:

– هيا فايولت فقد دفعت عشرون دولارا من أجل تذكرة الدخول، لا تجعليني أظهر كمسرف أمام أتباعي، كما أن المدرسة لا تقبل بإعادة المال.

– تمسكت بكرسيي وكأنني أستطيع رفضه:

– لن أذهب.

ابتعد هو ودار في أنحاء الغرفة قائلا:

–أوه فايولت لا تلعبي دور صعبة المنال معي فقد لعبناها كثيرا في السابق، كما أن الألعاب النارية ستكون استثنائية، دفعت الكثير لأضمن أنها ستظهر في الأخبار.

خرج هو لتدخل فتاة تبدو في منتصف الثلاثين، ثم امتلأت الغرفة بفتيات يدخلون معهم أنواع من الفساتين وعلب الأحذية وأدوات التجميل، وكانت جميعها فاخرة، فقط لو لم يكن بهذا الشر لتزوجت به وأنا مغمضة العينين، الغبي كارتر يعرف كيف يكون ساحرا أمام النساء.

لم أختر أنا أي شيء، تجاهلت كل ما عرضته لي تلك الشابة الشقراء، لذا هي أخذت على عاتقها اختيار كل شيء، وأنا تجاوبت معها، وضعت لي مساحيق التجميل، واختارت لي فستان أحمرًا ياقوتيًا، ذا أكمام منخفضة لتكشف عن الأكتاف، طوله بالكاد يغطي الركبة، ثم اختارت كعبًا أسودًا راقٍ يغطي كامل القدم حتى الكاحلين، كنت أرتدي حذائي وأنا أفكر في الخدعة التي يخبئها لنا ذلك السادي، وأخيرًا تختار لي الشقراء معطفا فاخرا، من الداخل فرو ناعم الملمس، ومن الخارج جلد بني اللون، ثم قالت: – ستحتاجين إلى شيء دافئ كهذا عزيزتي فالليلة سيتساقط الثلج.

بت جاهزة الآن لملاقاة رفيق ليلتي، نزلت إلى ساحة السيارات برفقة الحرس، وعندما أتحدث عن ساحة القصر فأنا أعني أسطولا من السيارات الرياضية الفارهة،

ليست فقط سيارات رياضية، هناك سيارات لموزين طويلة، وسيارات مزودة بأسلحة حربية، وأخرى وأخرى وأخرى.

الانبهار ما كان يريده على وجهي، وللأسف قد حظي به بالكامل.

- سعيد بأنها نالت إعجابك.

قالها بصوت مرتفع، شعرت بخطواته، إنه خلفي يتقدم بخطوات بطيئة لكن ثابتة التفت إليه وكان التقاء أشبه بالتقاء المستحيلين، كما لو أنه التقاء الشمس بالقمر، حمما وثلوج، ماء ونار، كان مهندما، ساحرا، ليست مجرد وسامة رجل بل هي ثقته وقوته، طموحاته العالمية، ونشأته الملكية كلها أضافت في ذلك الرجل لمحة استثنائية، وفي اللحظة التي رآني بها هو أيضا شتت تفكيره وقف أمامي مباشرة، وجهه يعلوني بسنتميترات معدودة، قريبا كفاية لأشعر بأنفاسه بدقات قلبه المضطرب أم أنه قلبي، أستطيع ملاحظة عينيه التي اضطربتا للحظة، أشاح بعينيه بعيدا عني ثم قال وهو يعود بهما إلي: - لطالما ظننت بأنك أجمل تحت سقف كوخنا، لكن ها أنت تثبتينني مخطئا.

ثم أشار إلى سياراته الرياضية في حركة مسرحية.

-اختاري سيارتك.

خرجت من تلك اللحظة الرومانسية الغريبة لأختار أقرب سيارة إليّ، كانت «لامبرغيني» بلوني الأبيض والأسود.

أريد الجلوس فقط وإنهاء الأمر.

دخل هو أولا، وجلس ثم فتح بابها لأجلس بإرادت، لم أرغب أن يمسني أحد حراسه

الستة،

قال هو:

- والآن يا أميرتي، لا تحاولي الهجوم علي والهرب، فهؤلاء الستة سيصحبهم جنود وسيلاحقوننا وإلخ، أكره التفاصيل الكثيرة، المهم أنك فهمت الفكرة.

- بالطبع.

وانطلقنا لم نتحدث البتة، وصلنا إلى طائرته الخاصة سريعا، كارتر يبتعد عني شيئا فشيئًا، حتى أنه صار يتحاشا النظر إلي.

ساعتين في الطائرة مضت كيومين طويلين، قدمت لنا المشروبات وبعضا من الوجبات الخفيفة،

أنا قبلت بكوب من القهوة وهو لم يتناول شيئا، كانت تنتظرنا، هليكوبتر أقلعت فور صعودنا عليها، واحدة لنا وأخرى لأتباع كارتر.

وصلنا إلى ساحة المدرسة الساعة العاشرة ليلا، كانت الموسيقى الصاخبة تتسلل لنا من منافذ المدرسة، أشار كارتر إلى بقعة في وسط الساحة، وقال مسترجعا الأحداث قبل عام: - ضربت هنا قبل عام، وفي اليوم التالي في مكتب المدير كانت لديك تلك العينان الحمراوان التي أنهكت في بكاء مرير بسبب ما رأت، وكنت أنت شاهدة على ما حدث، والدي قالا أنك أرسلت لي تلك الليلة من الجنة لأنك شهدت ضد شلة ماكس، تقدمت أنا إلى المكان الذي أشار إليه، والتفت إليه.

- كنت أراقبك لمدة أسبوعين قبل تلك الليلة، فتى بائسا هذا ما رأيته، الجميع كان يكرهك، وكم كان هذا يسعد قلبي، لكنني رأيت أيضا أنك شهم فأنت تساعد كبار

السن بحمل أمتعتهم، لم تكن ضعيفا أيضا فقد دافعت عن نفسك مرارا وتكرارا، حتى أنني علمت عن أعمالك التطوعية في ليالي نهاية الأسبوع، وفي تلك الليلة كنت أحمل مسدسي الصغير، وكنت أنوي اغتيالك في طريق عودتك إلى المنزل، لكن شيئا حدث، فقد ضربت بعنف أمام عينيّ، لم أرد التدخل، كنت سعيدة بانتقامي الذي قدم لي على طبق من ذهب، وعندما انتهى الجميع من ضربك تقدمت أنا، وأخرجت مسدسي الذي صوبته على رأسك، وأقسم أنني حاولت وحاولت، أردت للرصاصة أن تنطلق، لكنني لم أقدر فتركتك هناك وحدك، وعاقبت نفسي بالبكاء طوال الليل لأنني لم أنجز مهمتي، أنا لم أبك من أجلك، أنا بكيت من أجلي، في الحقيقة ماكس أنقذ حياتك، فلو لم تكن مثيرا للشفقة تلك الليلة لكنت ميتا.

مستمع جيد، هو لم ينطق بحرف حتى أنه لم يمسح ابتسامته، فقط قال:

- إذن علي أن أشكر ماكس.

وتقدم إلى المدرسة، وتبعه حراسه، لا أظن أنني صدمته، جوش قد يصدق تلك القصة التي ألفها عقله، لكن كارتر، كارتر بالتأكيد يعرف أن فتاة عانت بسببه لن تبكي من أجله، فهو ليس ساذج كفاية.

دخلت المدرسة ووقفت بجانب كارتر هنا تقابلنا لأول مرة، إنه المكان الذي حميته فيه، إما بصمتي و إما بصوتي، ذكريات سنة كاملة أحببنا فيها بعضنا، دخلنا قاعة الاحتفال داخل المدرسة، في الحقيقة هو ملعب كرة السلة، لكنهم زينوا وغيروا حتى تحول إلى صالة رقص فارهة، كان الطلبة مبهورون بنا ليس لوسامتنا، بل لأنه يحيط بنا موكب مهيب من الحرس، همست إلى كارتر: - لعل رجال المخابرات في الطريق إلى هنا.

قال ببرود تام:

- لا تجعلي حفنة من الذباب تخيفك أيتها الأميرة.

كارتر الذي لم أره إلا متأنقا منذ تحوله، يتجه مباشرة نحو الدي جي لكن الموسيقى تتحول إلى موسيقى هادئة، في منتصف الطريق يتوقف هو عن الحركة، ويلتفت إلي قائلا: - هلا سمحت لي بهذه الرقصة.

استجيب له بصمت، يضع يده اليمنى على ظهري، وبيده الأخرى يمسك يدي اليمنى، هل من الممكن أن يصبح اليوم أكثر غرابة؟ نتمايل على أنغام الموسيقى، يهمس داخل أذني: - لطالما تخيلت هذا اليوم، أنت وأنا، وهذه الموسيقى الهادئة.

- ما زال هناك حياة يمكننا أن نعيشها.

- لدي أحلام أكبر الآن، اسألي طفلا صغيرا عن أحلامه سيقول طيارا أو طبيبا، اسأليه بعد عشر سنين عن أي تخصص سيدرس، سيجيبك ما ينتج مالا أكثر، يديرني حول نفسي بيده ثم يحتويني أكثر.

- أنت حلم الطبيب بالنسبة لي، والانتقام هو حلمي الأعظم.

أدفعه بعيدا عني فقد سئمت إهاناته، يتراجع هو ويرفع كلتا يديه إلى الأعلى مبتعدا عني، ويلتفت إلى منصة التتويج، حيث توقف الدي جي عن العمل، أتجه نحو مائدة البوفيه، أملأ كأسي بالعصير أكاد أموت عطشا، أسمع همس الطلبة: - أهذا أخو جوش؟

- جوش ليس لديه إخوة أيتها الغبية.

أرى أن أخلاق الطلبة العالية لم تتغير هذا مطمئن، لحظة تتويج ملك وملكة الحفل

قد حانت، والمدير جورج يستعد لإلقاء كلمة، لكن كارتر يصعد على المنصة ويخطف الميكرفون منه ثم يدفعه بيد واحدة، ويقول: - شكرًا أيها المدير، لا أعلم ما سنفعل في هذه المدرسة دونك، أفضل ثلاث سنوات في حياتي، من يوافقني؟ ويوجه المايك نحو الطلاب الذين يصرخون مشجعين وهاتفين باسم المدير، فيعيد كارتر المايك إلى فاهه، ويقول: - دعونا لا ننسى المعلمة أليسون، يرفع يده عاليا ويهتف مع الطلاب بحماس:

أليسون.. أليسون.. أليسون.. أليسون..

ارتجت المدرسة بالهتافات الصاخبة، فقال كارتر وهو يشير لهم بيديه أن اهدأوا.

- فلنتوقف الآن فنحن نريد شكرهما لا أصابتهما بالصمم.

تعالت ضحكات الطلاب بينما وجدت الحيرة تغرق وجهي السيدة أليسون والسيد جورج، ويكمل كارتر:

- وعلى شرفهما أتكفل أنا بمصاريف الألعاب النارية في آخر الأمسية الساعة الواحدة مساء، إنه وقت إعادة المعروف لأصحابه.

ارتجت المدرسة بهتافات التشجيع لكارتر، وحملوه على أكتافهم، مرت عشر دقائق ثم جاء ليسحبني إلى خارج الزحام، ومعه أقرب حرسه إليه، قال بصوت منخفض: - أقفل كل الأبواب، وأحضر أليسون، والمدير، والطالب ماكس.

ثم عاد بنظره إلي:

- علينا أن نسرع لنحجز مكانا مميزا للألعاب النارية.

أشد يدي وأقول له:

- لكنها لن تنطلق إلا بعد ساعتين.

قال متململا:

- تفاصيل.. تفاصيل.. لم أعهدك مملة أميرتي.

وصعدنا الدرج تاركين المدرسة تحتفل بانتخاب الملكة والملك لهذا العام، صعدنا الدرجات سريعا، كارتر يمسك بيدي ويجرني إلى الأعلى، أراهن أنه ينوي اللعب، من لا يعرف لعبة أبيه.

كنت أسمع أصوات الثلاثة المختارون للعبة يتساءلون في انهيار:

لمَ تجروننا إلى الأعلى؟

من أنتم؟

ماذا ستفعلون بنا؟

لفحتنا برودة الشتاء، عندما وصلنا إلى السطح، فشددت على معطفي، لا يوجد ما أقدمه لهم اثنان سيموتان وناجٍ وحيد بينهم: من سيبقى؟

من سيرحل؟

ومن سيلقى عليه اللوم؟

بقيت أكررها في رأسي، من يمكنه أن ينسى منظر الدكتاتور على شاشات التلفاز، وهو يلعب هذه اللعبة على أكبر ناطحة سحاب في مدينتنا.

كان الثلاثة يرتجفون بردا، سأل المدير بوجه تملؤه الحيرة:

- ماذا يحدث هنا بالله عليكم؟

قال كارتر وهو يشير إلى نفسه بخيلاء أمام أعينهم:

- أنا خليفة الدكتاتور.

انهار المدير على الأرض، ينوح هو يعلم ما يدور في عقل كارتر، إنها لعبة صغيرة اعتاد العالم عليها لسنين قليلة، فيما بدت السيدة أليسون متماسكة بل إنها بصقت على وجه كارتر، وقالت: - أولادي الثلاثة قتلوا على يد والدك الظالم، فقط لو كنت أعلم من أنت لكنت قتلتك في وقت الفسحة.

قال كارتر، وهو يمسح وجهه بمنديل ناوله إياه أحد الحرس:

- وهذا يفسر الكثير.

أما ماكس فقد كان يبكي بصمت كطفل صغير كان يهمس:

- لا أريد أن أموت.

كرهت الوضع الذي أنا فيه، هم ينظرون إلي وكأنني سأتوسط لهم عنده، هم لا يعلمون أنني في ورطة معهم ليس بعمق ورطتهم لكنها ورطة على أية حال.

رص حرسه الضحايا الثلاث على العلو الشاهق بأطراف مبنى المدرسة، وقام كارتر يتبختر أمامهم بمشية بطيئة لوح بعصاه يمنة ويسرى، قائلا: (أيني ميني ماييني موه، من سيبقى من سيرحل ومن سيلقى عليه اللوم)

وقف أمام ماكس وقال (من سيبقى) تنفس ماكس براحة كبيرة، وتقدم على أطرافه الأربعة نحو بر الأمان، وقال كارتر:

- قال البعض بأنك أنقذت حياتي لذا سأعفو عنك.

ثم وقف كارتر أمام المدير، ودفعه بعصاه وقال بعد أن انقطع، صوت المدير وظهر صوت ارتطام جسده البدين بالأرض: (من سيرحل) وقف أمام السيدة أليسون التي

كانت متماسكة، بل إنها بدت مستعدة للقاء أبنائها الثلاثة

قال: (ومن سيلقى عليه اللوم)

انسحب من أمام أليسون دون أن يدفعها، وقال:

- أكره أن أدفع سيدة عجوز قام أبي بقتل جميع أبنائها، سكت لثوانٍ وقال قبل أن يسحبني إلى داخل المبنى:

- ادفعوها أنتم.

بالكاد سمعنا صوت أليسون وهي تصرخ غضبا:

- أيها الجبان أنت ابن أبيك.

قال ونحن ننزل نحو الأسفل مبتسما:

- أعرف للتو أخبرتهم بذلك.

أعطى أوامره لحرسه بأن يقيدوا ماكس في أحد الفصول كي لا يسمعه أحد.

وخرجنا نحن من مبنى المدرسة، مررنا من أمام أليسون وجورج، كانتا الجثتان بشعتان للغاية لكن لم يلاحظها أحد، استمرينا في المشي لثلاثون مترا بعيدا عن المدرسة، ثم توقفنا على الاسفلت، كان أسطولا من السيارات ينتظرنا، اتكأ هو على إحدى السيارات السوداء، وبقي معلق بصره على المدرسة، نظر إلى ساعته ثم عاد ببصره إلى السماء، قائلا: - الآن.

كل ما سمعته هي أصوات عالية مخيفة تلاها انفجار المدرسة، لتختفي تحت هالة من الأغبرة، الهواء الساخن لفح جلودنا، والركام المندفع يؤذي أجسادنا، لكنني أقف هنا صامدة في وجهه، تفصلنا ثلاثة أمتار، نشوة الانفجار بدت جلية على وجهه،

اتسعت ابتسامته، بل إنه ضحك ساخرا منهم، من ماضيه معهم، وكأنه يقول لهم: (من يضحك الآن!) انتظر حتى هدأت الأجواء وانتهت هبات الأغبرة كي تصبح الرؤية أوضح، قال هو بصوت عال بعد أن صفق بيديه ثلاثا:

-والآن نحو الانتقام الأزلي، اللحظة التي حلمت بها منذ سنين.

سيقتلني طبعا سيفعل، هو لن يتخلى عن هدفه الأسمى منذ الصغر، اهدئي يا فايولت كلها دقائق معدودات وستلحقين بوالديك الحبيبين، هناك أبكي كثيرا على كتفيهما، بل نوحي واصرخي غضبا، هناك أطلقي العنان لروحك، افعلي ما شئت لن يلومك أحد لن تخطئين.

إنه يتحرك فيما أتباعه، يقفون كالتماثيل البشرية، هو يخرج مسدسا من جيبه و يصوبه نحوي، أكاد أجزم أنه لا يزال يحبني، يده المرتجفة تؤكد هذا، لكنه أيضا يمقتني أكثر، أنا من سليلة الخونة الذين تسببوا بقتل أمه، وجهه يمتقع أكثر فأكثر، حاجباه تنعقدان بشدة، إنه يقاوم ويحارب ما بداخله لكن الشر سينتصر أرى عينيه المتشبعتين بالحقد، أغمض عينيّ، كيف لي أن أرى مقتلي على يد رجل أحببته حد الموت بين يديه، الموت أرحم بي منه، واستمع لها قبل أن أشعر بها، خمس رصاصات متتابعة يطلقها علي، أشعر بالسلام أهذا هو الموت، هل خدعته فلم أمر على سكراته؟ أم أنني بخير ولم تقتلني طلقاته.

تمر ثلاث ثوان حتى استوعب أنني ما زلت أقف بكامل صحتي، أفتح عينيّ لأجده يخفض سلاحه وهو يقترب مني بملامح مبهمة، يلقي سلاحه على الأرض في منتصف الطريق، لم يطلق علي إنما تعمد خدشي دون قتلي، الحرارة تلهب أذنيّ وكتفيّ وساقي اليمنى، لكنني حية وأخيرا تغلب على شره، لعله سيترك العالم وشأنه، لعل المدرسة آخر

انتقاماته ربما قمت بعمل صالحا في حياتي.

هو يخطو نحوي ومع كل خطوة يرتعد قلبي رهبة، حتى يتوقف مقابلا لي يأخذ نظرة مطولة على وجهي، أنفاسه الحارة تدفء وجهي، يهمس بكلمات في أذني لأعرف بأنه لا يدخر لي إلا شرا، وقالها بنبرة قسوة امتزجت بغضبه، وهو يقبض على كتفيّ الداميتين بكل قوته ويبعدني عنه، عيناه المحمرتان تلعنني بكرهه لي: - اهربي يا فايولت، اهربي بعيدا عني لا أريد أن أراك بعد اليوم.

لا إنه لن يكرهني بل إنه يعشقني، وأنا لطاما رددته خوفا منه لكنني، أجدني مطمئنة أستطيع أن أواجهه ولربما أقنعته:

- لا، تعال معي لنهرب سويا من هنا إن بقيت معهم ستفسد حياتك بالانتقام.

يغمض عينيه، وكأنه يردع نفسه بصعوبة، ثم يقول بحدة أكثر:

- هذه المرة لم أقتلك لكنني أقسم.

ثم يندفع علي ليحيط عنقي، بيداه القويتان فيمنع الهواء عن رئتيّ، ليأكد لي أنه جاد فيما يقول:

- إن رأيتك ثانية سأجلب موتك معي بيدي هاتين.

يبقي يديه على عنقي، حتى أكاد أن أفقد وعيي ثم يرخى يده ببطء، أخلص نفسي منه، لأكح بشدة راجعة إلى الوراء بالكاد أتمكن من الوقوف أمامه، إنه ليس جوش، تغيرت نظرتي له، إنه أحمق مختل سيهلك نفسه بنفسه، لم أتمكن من الاحتفاظ بكلماتي داخلي، فقلت له: - أنت تستحق جحيمك.

ثم استدرت ومضيت أمشي بعيدا عنه بلا ثقة فيه، ربما ستقتلني رصاصة غادرة

الآن وربما لا.

-أرشح نابولي هناك إشاعة بأنها ستسلم من قوات خليفة الدكتاتور.

نابولي إنه يذكرها، أريد أن أراه للمرة الأخيرة، وهو يفكر بأحلامنا في نابولي لكن بقي لي من كبريائي ما يمنعني، فتتحول خطواتي إلى هرولة ثم إلى ركض بعيدا بعيدا عن جوش وأقرب إلى نابولي.

كرهت البيتزا في نابولي، ما كنت أراه نعيما انقلب جحيما الآن، نعم قد عشت هنا وأكلت البيتزا كما أردت لكنها لم تكن كطعم البيتزا التي أتوقعها، بل وجدتها أقرب إلى ورق الصنفرة الخشنة، تكاد تكشط طبقة لساني، تكفي لقمة واحدة لتمل شهيتي، كنت قلقة أترقب خبر أول قنبلة من فاتحة كارتر، سكنت في قرية، في منزل عائلة مغتربة، والدهم يحضر لرسالة الدكتوراه في أميركا، كانت مزرعة صغيرة مهملة ورثتها العائلة منذ ثلاثة أشهر، لكنها لا تبدو كأن الأقدام وطئتها لعام على الأقل، كوخ صغير، أي غرفة واحدة بدخلها مطبخ في ركن، والركن المقابل يشغله سرير متهالك، مدفأة صغيرة في المنتصف، وفوقها رف خشبي فارغ، لدي قبو بحجم الغرفة مع حمام صغير، كانت المزرعة أكثر من كافية بالنسبة لي، الأموال التي ادخرتها من عملي في المدرسة اسعفتني لاستئجارها وشراء أكبر كمية من المعلبات، والمضادات الحيوية تحسبا للحرب، فعلت ما توجب علي أرسلت برسائل تحذيرية لأكبر المنظمات في العالم بعودة ابن الدكتاتور واختفيت هربا منهم، أجهل ما يحدث الآن كل ما لدي لمتابعة العالم هاتف ذكي أحصل منه على أخبار العالم كل مساء الساعة التاسعة قبل موعد نومي بساعة.

ما أثار دهشتي هو وصولي السهل إلى روما، وكأن الأرض قد فرشت لي بالسجاد

الأحمر، كانت تلك النظرات الغريبة تثير الريبة لدي، موظفو الاستقبال، إحدى المضيفات، رجال الأمن في المطارات، حتى عندما تم إيقافي في مطار ليوناردو دافنشي الدولي من قبل رجلين أمن مسلحين ظننت حينها بأني كشفت، وحان موعد عودتي لحياتي السابقة، احتجزت في غرفة مقفلة في وسطها طاولة صغيرة وكرسيين متقابلين، آثرت القتال في نفسي، عليّ أن اقتاد للمرة المليون لأخدم جشع المخابرات، لكن حينما فتح الباب لم يكونا نفس الرجلين بل كانا رجل أسمر وفتاة شقراء، تحدثا الإنجليزية بطلاقة، قال الشاب على الفور: - نعتذر على الإزعاج سيدتي يمكنك المغادرة الآن.

وبهذه السهولة غادرت المطار.

اؤمن أن كارتر يعمل بخفاء لحمايتي، لكن أيعقل أن يؤذيني بكل الطرق ثم يعمل جاهدا لوصولٍ هادئٍ لوجهتي، حتى الموظف الجديد في متجر القرية يبدو أكثر اهتماما بي من بقية زبائنه، قد يكون إعجابا وقد يكون جاسوسا لكارتر، ما الصراع الذي تعيشه يا كارتر، لابد أنك من أتعس البشر على هذه الأرض، تتبع هدفًا مدمرًا في هذه الحياة لكن المصيبة في حالتك أنك تمتلك القوة لتضمن ضياع العالم معك في متاهاتك الخاصة.

الفصل الخامس

كنت في معتزلي عندما بدأت الحرب، قالو إنها بدأت العاشرة مساء، كان الصباح التالي يوم عملي الأول في منزل الطبيبة، مربية أطفال هي وظيفتي الجديدة، الجميع وقتها كان يتحدث عما حدث، التلفاز يعرض أقوال السياسيين ومشاهد مرعبة عن آثار الحرب، أحاول تجاهل الموضوع بأكمله، كل ما أردته هي الحياة الهادئة، لكنني أجبر دوما إما للهرب أو للعمل تحت إرادة المخابرات، تجاهلت العالم الدامي، وأحاول الاندماج مع عائلتي الجديدة، ربما أكون مجرد مربية للطفل كيفن ذا الخمس سنوات، لكنني أحب أن أفكر أنني جزءً مهم منهم، لم يتقبلني كيفن في أول الأيام لكن يوما بعد يوم اعتاد علي وصار يلجأ إلي كثيرا في معظم أمور حياته، بالأخص حين زادت المسؤوليات على والدته، الجراحون يشكلون ثروة مهمة، أمه انتقلت إلى ضواحي نابولي هربا من الحياة المدنية؛ لتوفر جوًا هادئًا نقيًا لكيفن، كفين الطفل الذي يحمل أنبوبة الأكسجين لخلل ما في رئتيه، كل ما فهمته أنه ينتج الكثير من البلغم مما يأثر سلبيا عل رئتيه الصغيرتين، تعلمت كيف أعد دقات قلبه لأراقب نقص الأكسجين، كارتر أوفى بوعده لي، لكن أجواء الحرب حولنا زادت من حالة كيفن سوءً، مع كل شهر يمضي أرى المرض يهلك جسده الضئيل، مرت ثلاث سنوات، بعدها كيفن لم يستطيع مغادرة السرير حتى أمه تركت عملها من أجل البقاء بجانبه، خالة فايولت أريد اللعب.

قاطع كيفن تفكيري بطلبه البريء.

- لمَ نذهب إلى الخارج ولدينا كل هذه الدمى هنا.

قال بلهجة ترجي وهو يضيق عينيه اللطيفتين:

- لخمس دقائق فقط، أرجوك...

إنه نعس جدا، تناولت قصة من على طاولته الصغيرة، واستلقيت بجانبه، وقلت له:

- بعد أن نقرأ هذه القصة.

تذمر قائلا:

- أنت تحاولين التخلص مني.

ابتسمت له، وقلت:

- ولمَ قد استلقي بجانبك إن كنت أود التخلص منك.

عبس ولم يجبني:

بدأت في قراءة القصة حتى وصلت لمنتصفها، لاحظت أن حركته قد سكنت، فعلمت أنه قد نام، تملصت منه بلطف وخرجت من غرفته بعد أن اطمأننت على مستوى الأكسجين في دمائه، نزلت إلى الدور السفلي بحثا عن أمه...كانت تجلس في مكتبها إنه المكان الوحيد الذي تبكي بداخله، هي تخفي كل مشاعرها أمام طفلها، كم أود أن أكون بقوتها حينما أراها مع كيفن، أعلم أن هناك قوى خارقة بداخلها تدعى (الأمومة) دخلت عليها ستكره أن أقاطع نوبة بكائها، لكن لن أتراجع هذه المرة:

- ما الذي يمكننا فعله ليتحسن كيفن؟

نظرت إلي بعينين منتفختين محمرتين، قالت بصوت واهن:

- أعرف بأنك أحببته، لكن لا شيء هنا قد يساعدنا.

- يا إلهي لمَ تتحدثين عنه وكأنه رحل؟ هو لم يزل حي وأنا متأكدة أنني أستطيع

المساعدة.

وقفت غاضبة.

- ماذا يا فايولت هل لديك ثلاجة أعضاء في كوخك الصغير؟

- إذن يمكننا أن نفعل شيء من أجله، سأعود في الصباح الباكر.

لم أبقى لأرى ردة فعلها، فقد تناولت معطفي ورحلت إلى المتجر الذي أشك أن جاسوس كارتر يعمل به، لم أخبرها بما يدور في عقلي، فآخر ما أريد منحها إياه هو أملا زائفا.

دخلت المتجر وتوجهت مباشرة نحو الرجل:

- أريد الحديث مع كارتر.

قال لي ونظرات الشك تحوم حولي:

- من كارتر؟

- أنت تعرف عن أي كارتر أتحدث، هل ستصلني به الآن م أرحل وأتركك تواجه العواقب؟

دخل إلى غرفة المخزن، وبقي فيها خمسة دقائق، خرج منها وهو يشير بيده أن أدخلي، ارتبكت حقا، ماذا سأقول؟ هل أسلم؟ هل أسأل عن الحال أم أخبره بطلبي وأنتظر الرد؟

دخلت المخزن الذي كان عبارة عن الكثير من الرفوف وجهاز كمبيوتر على مكتب مغبر،

جلست على الكرسي ونظرت إلى الشاشة.

ورأيته الرجل الذي أحمل نحوه كل المشاعر المتناقضة، كان ذابل الوجه خالٍ من المشاعر كرجل آلي، لا طيبة جوش ولا نرجسية كارتر، لعله كان يجلس هنا وهو يتلقى أخباري.

- ما الأمر؟

صوته أخرجني من صمتي قلت له وأنا أحاول السيطرة على أعصابي:

- الطفل كيفن الذي أرعاه، سيموت إن لم يتلقى العناية الطبية التي يحتاج إليها.

قال بلا تردد، بلا مقدمات طويلة، ولا تعليقات ساخرة وكأنه رجل آخر:

- توجد طائرة خاصة مجهزة بكافة المعدات الطبية، جيمي سيرافق الطفل وأمه إليها، أي شيء آخر.

-سيحتاج إلى رئة جديدة.

- معامل الاستنساخ ستتكفل بهذا الأمر.

- يا للسهولة وكأنني أتبضع من متجر.

أستطيع أن أرى ابتسامة على طرف شفاهه.

وقمت من مكاني، دخل عامل البقالة جيمي المخزن دقيقتين تلقى فيها أوامر من كارتر، خرج الرجل وفي يده جهاز اتصال حديث ومفتاح سيارة.

- هيا بنا.

أخرج سيارة كبيرة من نوع مرسيدس جيب بحالة ممتازة، من مرآب سري لم

ألحظه من قبل، وصلنا إلى منزل كاتي، دخلت المنزل بمفتاحي طلبت من جيمي أن ينتظر بالخارج، كانت نائمة بجانب ابنها كيفن، أيقظتها هززتها بلطف وقلت لها: - هيا يا كاتي حان وقت الرحيل.

قامت بخفة، هذا ما يحدث عندما يمرض الأبناء، تبقى الأمهات دوما على أهبة الاستعداد.

أخذتها إلى خارج الغرفة، وقلت لها:

بالأسفل توجد سيارة ستأخذكما إلى طائرة خاصة، الطائرة ستسافر إلى إكبر مشفى لزراعة الأعضاء.

أرى بوضوح أنها تكاد تموت فرحا، فقد سقطت أرضا مغطية وجهها بيديها.

- لا أصدق، كيفن قد يعيش.

- مهلا كاتي علي أن أحذرك، الرجل الذي تبرع بالرحلة تربطني به علاقة حب وكراهية، فأنا لا أدري هل هو سيخدمني أو ينتقم مني! كما أنه الرجل الأخطر حاليا إنه كارتر مانش.

لم تجبني لدقيقتان، ثم قالت:

- سأقبل بأية نسبة شفاء لكيفن، بدونه يا فايولت سأفقد حتما الرغبة في الحياة.

ثم قامت لحزم حقائبها وكنت أنا أعاونها وأحزم حقيبة لكيفن وضعت أقرب ألعابه إليه، حملته أمه بعناية إلى السيارة، وجيمي أدخل الحقائب جميعا، احتضنتني كاتي بقوة قائلة: - أشكرك فايلوت سواءً نجونا أم لا.

وغادرا الاثنان، صديقاي الوحيدان في نابولي، ليطاردا الحياة التي يحلمان بها.

بعد مرور ستة أشهر

الآن بت أرى الحرب على حقيقتها، كيفن الطفل البريء أبقاني مشغولة عنها بنجاح، نحن لا نتحدث عن الأشياء السيئة فكلانا قد أخذ نصيبه الكافي من سوء الحياة، لم تصلني أخبار عنه أو أمه، جيمي لا يفيدني بشيء أدخل محله اسأل عن رفيقي وأخرج غاضبة، لم اعد أسأل الآن فقط اهتم بشؤوني الخاصة، حياتي الآن فارغة نحن في نابولي لا نعاني من القنابل أو طلق الرصاص بل تفشى الفقر فينا، الناس في كل مكان يعانون، وأنا الوحيدة التي أمتلك الحل، إنه لحمل ثقيل تحملني إياه المخابرات...

أقرر بعد أن أرى أن العالم قد عانى بما يكفي..

الساعة الثالثة بعد منتصف الليل، أفتح هاتفي الذكي وأكتب رسالة صغيرة (سأفعلها) وأرسلها إلى رئيسي السابق في المخابرات.

دخلت إلى البقالة المعتادة، يدها ترجف بشدة، وجهها شاحب، وكأنها ترى الموت يلاحقها، تترك جهازا صغيرا على المنضدة، تقول وهي تحاول السيطرة على شفاهها المرتعشة: - بداخله برنامج صغير أرسله لكارتر، إنه مقفل الآن، وسيفتح عند الساعة العاشرة مساء ليلة الغد

ثم غادرت دون أن تنتظر منه جوابا:

أسرع الشاب في التواصل مع كارتر، أرسل له البرنامج

أخبره عن حالة فايولت، كيف كانت تبدو خائفة وشاحبة.

يجلس في كرسيه الفاره ينتظر خبرائه التقنيون يفكون رموز البرنامج، لكنه صامد

أمام جميع محاولاتهم، إحساس بارد كالثلج يتشبع بقلبه إنه الخوف، الخوف من أن حبيبته ستفعل شيئا سيئا لنفسها، بأنها لن تتحمل العقبات التي ألقاها في طريقها، كرامته وانتقامه عنيا له الكثير، لكنه بدونها سيخسر طعم الحياة، هو يعلم هذا الآن، هو يأمل أن الآوان لم يفت عليه، يحتاج أن يتذوق طعم موتها حتى يصحو من غفوته المريضة.

– ستفعل شيئا سيئا يا أبي، أعرفها كنت قاسيا غدارًا معها، كنت قبلها سعيدا معها، كنت سعيدا حتى أعادوا لي ذاكرتي.

– لا تستبق الأحداث يا كارتر، ربما قد تكون رسالة أو طلب ما.

قام من مكانه، وأخذ يدور في القاعة بوجه ممتقع وحواجب منعقدة.

– لا لا هي طلبت معروفا، من قبل لم تكن تبدو هكذا، إنها لا تريد مني أن أتدخل، أرسل جميع الوحدات للبحث عنها.

اجعلهم يتوقفون عما يفعلون، ويبحثون عن فايلوت في نابولي.

قال السيد يانج بعد أن ألقى أوامر كارتر على أتباعه:

– عجبًا بني، ألم تتغنى أمامها بحلمك في قتلها وتعذيبها، والآن أنت تبذل كل ما في قوتك لحمايتها.

– لا تسألني يا والدي فأنا نتيجة أبحاث هشة، أنا لا أفهمني منذ أن تذكرت كل شيء.

الساعة العاشرة إلا خمسة دقائق...

فشلت جهود كارتر في إيجادها، كان ينتظر برفقة والده ما ستفشيه لهم تلك

الشاشة العملاقة على الجدار، وظهرت لهم تلك الصورة العملاقة إنها فايولت تجلس وحدها تلبس فستان زفاف أبيض بسيط، كحلت عينيها باللون الأسود لتظهر جمال سواد حدقتيها، ولونت فمها بأحمر شفاه الذي جعلها تبدو أنضج وأكبر عمرا، أقل براءة وأكثر غموضا، تبتسم بصعوبة تحاول أن تنطق لكنها تتوتر أكثر، تحاول أن تتخلص من ارتباكها عبر تعديلها للتاج الذي يبرق فوق شعرها المسرح بعناية، رغم حزنها لكنها بدت مثالية ليوم رائع ليوم زفاف، كانت تجلس على تلك الأريكة التي يعرفها جوش جيدًا.

ابتسمت وقالت بلطف:

- هذا بث مباشر ليراه جوش.

صمتت قليلا وهي تتأمل المكان حولها.

- أنت حتما تعرف أين أنا.

مرحبا جوش أتمنى أن تكون بخير.

أنا في المكان الذي قضيت فيه أجمل أيامي، لمَ غادرناه؟ أتمنى لو بقينا هنا، ما كان أحد ليعلم بأمرنا، إنه المكان الذي أختاره لموتي، لا أحد سيساعدني الان فقد تناولت ما سينهي حياتي منذ ساعات، ما ارتديه هو ما سأدفن به، دفعت في هذا الفستان كل أموالي، فأنا لن أحتاجها للحياة الأخرى، فقدت الأمل في الحياة الطبيعية منذ زمن، رؤية الدمار من حولي جعل قراري منطقيا، كل ساعة أتنفسها هنا تفقدني شيئا من روحي، والآن سألقنك وصيتي، إنها لك وحدك يا كارتر توقف، اترك العالم وشأنه.

ابتعد عنهم وعش حياة هانئة، تعال إلي هنا وادفني وحدك تحت تلك الشجرة، أنت تعرفها، الشجرة التي طلبت فيها مني الزواج، إنه مكان جميل لأستقر فيه إلى الأبد،

شكرا كارتر لأجمل قصة حب مجنونة في هذا العالم.

تحسست جبهتها بضعف، ثم قالت:

- أشعر بالضعف، علي أن أذهب.

وغادرت لتختفي من أمام الشاشة.

جوش الذي لم يبق ليرى بقية ما تعرضه الشاشة، كان بالفعل مسافرا بطائرته الخاصة نحو أقرب مطار للجبل، ساعات قليلة مرت حتى وقف وحده أمام باب الكوخ، دخل وتوجه مباشرة نحو سريرها فوجدها مستلقية بسلام، إنها لا تتحرك، لا تتنفس، أحتضنها و بكى فوق جثتها، الآن عرف معنى أن يفقد حبيبته، الآن يعرف أن الحرب أفسدت حياته أولا قبل العالم، طعم الانتقام المر يطفو على لسانه، ود لو أن معه سكينا ليقطعه، لكن هيهات كارتر كسرت آلاف القلوب، وهاقد آن لقلبك أن يكسر.

قبل يديها ليجد خاتم الجمجمة السخيف ما زال يزين إصبعها النحيل، ابتسم باكيا يندب حظه:

- ماذا فعلت؟ أي كرامة قد تنفعني الآن.

انتهى بتقبيل شفاهها، وغطى جثتها بشالها الذي كانت تلتمس منه الدفء في هذا الكوخ.

جلس باكيا على الأرضية الخشبية، يستعيد كل ذكرى سعيدة قضاها مع فايولت هنا، فبجانب المدفئة تناول حبة مخففة للصداع ليثبت حبه لها، وفي المطبخ وجدا صندوق كتب اعتبراه كنزهما الخاص، وفي الخارج عرف ما هي حقيقته الشنيعة، ورغم خوفها منه وثقت به.

وخزة ضعيفة قرصت كتفه، تبعها شعور قوي بالنعاس، يكاد يقضي على وعيه، يحاول الوقوف، ينجح بصعوبة، تتموج الرؤية بالنسبة إليه ثوان ثلاث، يبتسم لرؤيتها واقفة بصحة ممتازة يقول وهو يترنح متوجها إليها: - أيتها الماكرة.

ردت عليه وهي تسنده حتى جلس على السرير:

- إنه الخيار الوحيد للنجاة منك.

- إلي؟

فارق وعيه وإحساسا كبيرا بالراحة يحتل قبله، إحساس بالحرية.

في مركز البايوتقني في عقر الوكالة العالمية لمقاومة الإرهاب، تجلس فايولت متوترة، تهز قدمها بوتيرة سريعة كما ترتطم أطراف أصابعها على مكتب سكرتير المدير العام.

ترتدي فستانًا أنيقًا أسودًا، وتربط شعرها كذيل الحصان، يدخل المدير العام عليها مستبشرا، وقفت احتراما له فيصافحها بحرارة: - أديتي واجبك أيتها العميلة على أحسن وجه، هلا شاركتنا الجلوس في مكتبي؟

تقولها بنكهة ساخرة:

- بالطبع سيدي.

يدلفان إلى المكتب الواسع، فتجد أمامها السيد يانج، يمتقع وجهها بشده لكنها تأخذ نفسا عميقا، وتجلس على المقعد المفرد أمامه، فيما المدير العام يجلس على كرسي مكتبه الرئيسي، لا تقاوم رغبتها في المعرفة: - هل تم مسح جميع التهم من سجلي كما اتفقنا.

جميعهم يعلمون بالتهم التي تكيلها المخابرات لمن ينسحبون دون إذن منهم،

فبمجرد أن تعمل لديهم تعلم بأمل قانونهم، إما العمل معنا أو ضدنا، لا جوانب أخرى، لا إرادات حرة، لا للحياة الهانئة.

يقول المدير بابتسامة واسعة:

- بالطبع، وبالتالي تسقط عنك جميع الأحكام الصادرة بسببها.

تأخذ نفسا عميقا ثم تسأل بقلق:

- إذن لمَ أنا هنا؟

- لدينا مهمة جديدة سيشرحها لك السيد يانغ.

تقف غاضبة، وتقول حازمة:

- لا، لا مزيد من المهمات يكفي ما نلته بسببكم.

يقف المدير العام هو الآخر:

- قد تحتاجان بعض الخصوصية، سأعود بعد أن تنتهي يا سيد يانج.

ويسرع في المغادرة هربًا من مسؤولية أخرى.

يبتسم السيد يانج ويسألها عن حالها:

-كيف حالك آنسة فايولت؟

- بخير حتى تم استدعائي إلى هنا.

تجلس وتبتلع ريقها بتوتر، ثم تسأل:

- ماذا عن كارتر هل هو بخير؟

– نعم، إنه رجل جديد، عمره أربعة وعشرون سنة، لا يذكر شيئا سوى الكم الهائل من المشاعر، حتى أنه تعرف علي، وأخبرني فور رؤيتي أنه يعتقد بأنني والده.

زاد قلق فايولت:

–وما المطلوب مني؟

– عليك أن ترافقيه حتى ...

تقاطعه بغضب:

– مستحيل، لا أريد.

– فقط قابليه لمرة واحدة وبعدها قرري.

– ألا تعلم ما الذي عرضني له؟ أهنت وعذبت وكسرت على يديه، لثلاث سنوات حملت هم العالم على كتفي، والآن انتهى كل شيء، لا علاقة لي بأحد.

– كل ابن آدم معرض للخطأ وللنسيان، إذا بذل الجهود الكافي.

– كلا، ليس هناك ما يبرر أخطاءه، وليس هناك ما يكفي لنسيان ما فعل.

– إنه ليس خيارا، إنما الواجب يحتم عليك مقابلته، وتهيئته للعالم الخارجي.

قاطعته بغضب هائج:

– أنت مجنون، كلكم مجانين، ما عليكم فعله هو قتله في أسرع وقت ممكن، لا تهيئته للعالم ماذا سيحدث إن عاد لأصله، كانت فرصة واحدة لقتله وهاهي تلوح لنا، لكنكم لا تتعلمون، ستندمون كما سأفعل حين تعود له ذاكرته الدكتاتورية.

بدا اليأس على وجه السيد يانغ، وقال:

– هو ما تبقى لي، إنه ابني، كيف لي أنقلب على آخر أفراد عائلتي، وعدت المخابرات بأنني سأجهز كل القوى، كل الشركات، وكل المراكز العلمية التي تقع تحت ملكية كارتر، لإعادة تأهيل العالم في غضون سنة واحدة، لن يبقى هناك أثر للحرب، فقط إذا منحوا جوش فرصة إعادة برمجته كما فعلنا المرة الأولى.

سكتت فايولت لنصف دقيقة، ثم قالت:

– سأقتل نفسي قبل أن أساعد ابنك.

– لا يبدو أنك ستحتاجين إلى ذلك فحياته بيدك، المشكلة هي أننا لسنا واثقين من مدى نجاح عملية الحقن، وعلينا الاثنان أن نتأكد من نجاح الأمر، ولا أحد يعرفه كما نعرفه نحن، اخترتك أنت لأنك الوحيدة التي عاشرتها في كلتا شخصيتيه، لذا أرجوك جوزفين أعطيه فرصة أخرى، إنه رجل جديد، شاب بريء، لا يمتلك أية تجارب سيئة كانت أم جيدة.

– وكذلك كان جوش.

ابتسمت فايلوت لتكشر عن أسنانها اللؤلؤية الشامتة في وجه السيد يانج.

– شكرا سيدي، فقد أهديتني للتو دلوًا من الماء المثلج، وسأصبه في أقرب فرصة على النار التي أشعلها ابنك بداخلي، وسأستغلها أيما استغلال.

كان يجلس في غرفة صغيرة.

– أنا أعرفك أليس كذلك؟

– نعم أنا أعرفك منذ أكثر من أربع سنوات.

– كنت أعرف أن لدي تلك المشاعر الهائلة داخل قلبي التي لم يحركها أحد غيرك.

قالت بعينين فاتنتين غاضبتين:

- للأسف لست أبادلك أيا هذه المشاعر.

ابتسم هو الآخر بثقة أكبر:

- لمَ أشعر بأننا كنا نقف في نفس الموضع تماما.

تفاجأت من حروفه، إنه على حق، هذا ما حدث بالضبط، لكنها لا يمكن أن تسامحه هذه المرة، لن تسمح بأن تعرض نفسها للأذى معه.

- كلا، لم يحدث شيئًا من هذا القبيل.

- وأنت لا تكذبين!

إنه يثير حفيظتها لتعتدل في مكانها، يدخل بنظراته الثاقبة أعماقها، ويثير لديها مشاعر مكبوتة لكنها لا تقارن بغضبها العارم نحوه.

- أنا لست هنا إلا لنهيئك للعام الخارجي فلنعمل على ذلك.

تراجع هو في مقعده.

- حقا أهذا السبب لجلوسك أمامي.

إحساس سيء نما بداخلها بأنها تجلس أمام كارتر، بأنها ابتلعت خدعة ما.

- السبب في جلوسي هنا هو أنني قد أواجه تهمة الخيانة في حال رفضي لمهمتهم.

- إذا أنا أعتذر بالنيابة عنهم.

كلا، إنه يعتذر على عكس كارتر، لا يمكن أن يكون كارتر، إنه أقرب إلى جوش، بل إنه أقرب إلى كليهما، يحمل في أفكاره مكر كارتر وفي تعامله سماحة جوش، أغمضت

عيناها بقوة، وكأنها تطرد أفكارا خائنة تحوم حول قلبها.

- إذا كيف ستهيئينني للحياة يا آنسة.

- لا يجب علي فعل شيء في الحقيقة، كل ما علي فعله هو التحدث معك لنصف ساعة كل يوم هذا ما أخبرت به في الخارج.

نظرت على ساعتها ثم إليه:

- وقد انتهت نصف ساعتي.

تخرج لتكبل يداها من خلف ظهرها، يقف بجانبها السيد يانج.

- ليس من المفترض تقييدي هكذا، فأنا سأتحدث معه لخمسة أيام.

- هل تذكر؟

تزفر بعصبية.

- حتى وإن فعل، فأنا لم أعد أميز الفرق.

- عليك أن تكوني واضحة فحياة ابني تعتمد على شهادتك.

- التي لن تحصل عليها حتى تمضي الأيام الخمسة.

تغادر بصحبة الحارس المكلف بها، يعيدها إلى غرفة فارهة لكنها مغلقة، ومراقبة.

يفك قيدها ويتركها وحيدة أفكارها، تتوجه لسريرها لكن قدماها تخذلانها في منتصف الطريق تسقط أرضا، تفقد سيطرتها على دموعها المنهمرة، كلا ليس له، هو لا يستحقها، لن تفصح له، فإعادة إحياء حب قديم ملطخ بالدماء أشد صعوبة من نشوء حب جديد طاهر.

- الموت لك يا كارتر..

تضرب الأرض بقبضتها وكأنها ترى خياله تحتها، وكأنها تذكر قلبها بآلامه، ليس بالأمر المعقد أن تخبرهم بأنه يتذكر ولو جزءً صغيرًا من حياته السابق، لكنها تجد صعوبة في تقبل أن نهايته قد تكون كلمة من شفتيها، لن تستسلم لقلبها الذي يزن عليها بالصفح، فيما عقلها ينصحها بالحذر والابتعاد عن كل ما يمسه، ستنطق بنهايته مهما آلمتها الكلمات.

- إنه اليوم الأخير كما فهمت.

قالها بحزن، إنه يعلم أنها ستسعد بفراقه، لكن الذي لا يعلمه هو حكم الإعدام الذي تخطط له.

لم ترفع بصرها إليه، قالت:

- نعم.

- أتمنى أن أسرح في مكان هادئ ربما كوخ وسط غابة، قالوا أنه علي أن أبقى بعيدا عن شبكات الانترنت، إنها تسبب فساد خلايا مخي.

أطعموه الكثير من الترهات، التخويف هو الأسلوب الذي يستخدمونه للسيطرة عليه، لكنه لا يبدو بريئا لها، فهو يجلس مطمئنا، ليست ثقة فيهم، نعم إنه يجاريهم، كانت مترددة، لكنها قالت بصوت عال وكأنها تؤكد لنفسها أنها لن تكذب عليه: - اسمك جوش، وكنا مخطوبين قبل زواجنا بليلة حصل الحادث، وافترقنا بعدها لثلاث سنين.

مال بكامل جسده إليها وقال متحمسا:

- عرفت أننا تجمعنا علاقة وثيقة.

نظر إلى يدها ووجد خاتم الجمجمة يتوسط بنصرها:

- لدي شعور سيء بشأن هذا الخاتم.

وأشار إلى يدها، ابتسمت هي، وقالت:

- هذا ما قدمته لي لتخطبني.

غطى وجهه بيديه.

- كنت خاطبًا سيئا.

قالت على الفور ضاحكة:

- بل الأسوأ.

بدت الجدية على وجهه، وقال بنبرة صادقة:

- هل من الغريب أن أقول أحبك بعد لقائي بك بخمسة أيام.

مالت هي إليه وقالت:

- لم تكن خمسة أيام، بل خمسة أعوام، جوش الذي أحببته قابلته منذ خمسة أعوام.

اغرورقت عيناها بالدموع، نظرت إلى ساعتها، وقالت:

- علي أن أرحل.

قال هو محاولا إيقافها:

- لا انتظري ...

لم تستجب له فضلت الرحيل لكنه وقف، وأسرع يحول بينها وبين الباب:

- لا يمكن أن ينتهي الأمر هكذا، لا يمكن أن نفترق.

لكن هذا ما حدث بالفعل، دخل الحرس بينهما، خرجت وهي تشد يدها من بين يديه، تستمع إلى صوت ندائه لها...

الفصل الأخير

كانت قاعة الحكم واسعة، طاولة اجتماعات ممتدة، يجلس على جانبيها عشرون رجلا مهمًا، وفتاة واحدة تدعى فايولت.

قام السيد يانج من مكانه، وقال بصوت جهور:

- أتعهد أنا يانج الوريث الوحيد لكارتر داش، أن أسخر جميع ممتلكاتي الحالية في استعادة الحضارة التي أفسدها كارتر داش، كما أنني سأرضى بقرار إعدامه في حالة أن عملية إفقاده للذاكرة قد فشلت، لكن في حالة نجاح العملية، وتعرض بعدها للأذى أو الاحتجاز سأنسحب من جميع الاتفاقيات التي تم التفاوض فيها، على أن الشخص الوحيد الذي يقرر نجاح العملية من فشلها هي: فايولت غيلبرت.

اتجهت جميع الأنظار إلى فايولت التي سرعان ما ارتبكت وألصقت عيناها بسطح الطاولة، سمعت اسمها واضحًا من فم رئيس المخابرات لتقف بدورها، قال لها الرجل:

- فايولت غيلبرت هل يتذكر كارتر داش أي ذكرى من ماضيه؟

- كارتر داش يتذكر ...

صمتت لثوانٍ قليلة، لحظت خلالها امتقاع وجه السيد يانج، وارتياح أوجه معظم الحضور، ثم أكملت، لا شيء من ماضيه الأسود، إنه ليس إلا نسخة مطورة من جوش الشاب الخالي من أية أفكار شيطانية، إنه فرد صالح لبناء المجتمع، ثم جلست فايولت ليقوم رئيس المخابرات: - أعلن منذ الليلة، أن يطلق الشاب كارتر داش على أن يمنح هوية جديدة، ويبقى تحت المراقبة طوال حياته.

«فايولت»...

خمس سنوات مرت كالحلم الجميل..

وكأن الخمس سنوات خلقت من ربيع..

حتى الشتاء لم يكن باردا، وإن كانت تثلج خارج أبوابنا..

والشمس في صيفنا لا تصيبنا بالصداع، بل تزيدنا توهجا وبهجة..

أنا وصغيرتيّ، أغنيس وفيونا، والرجل الذي تناقضت معه مشاعري مئات المرات حتى ختمتها بحبه..

كعادة المخابرات لم تترك لي الخيار بالحياة كما أريد، فقد عينت مراقبة لكارتر داش كان علي أن أمر على كوخه البسيط كل ليلة لأضمن بقائه في حدود منطقته، في البداية كان يلوح لي مبتسما من بعيد، بعدها أصبح يدعوني لكوب من القهوة، رفضت مرتان، وفي المرة الثالثة تناولت القهوة على عجل، كنت مرتبكة وخائفة في نفس الوقت وكان هو هادئا، يتحدث كثيرا عن الكتب ويشتري الكثير منها أيضًا.

مرت الأسابيع ونحن على هذا الحال، أحببت هذا الروتين، لم أعد أمر عليه مساءً، بل كنت أزوره الساعة الرابعة عصرا وأبقى لمشاهدة الغروب، كأنني أعيش تلك الأيام القديمة من جديد، وفي أحد المساءات الهادئة، كنا نتناول الشاي على الشرفة، قال وهو يختلس النظر إلى كوخه: - هذه الكتب أخذت مكان كل شيء حتى موضع نومي.

قلت ممازحة:

- اشتري بيتا أكبر.

قال وهو يضع خاتما الماسيا فاتنا على الطاولة:

-وفي المنزل الكبير، علي أن أحظى بزوجة جميلة.

ثم نظر إلى عيني، وقال وكأنه يخشى رفضي:

- هلا أصبحت زوجتي يا فايولت غيلبرت.

كنت أعلم بأنه سيتقدم لخطبتي للمرة الثانية، فقلت بابتسامة واسعة

- نعم أوافق على أن أكون زوجتك.

بنينا حبنا من رماد البغض، وكم كان رمادًا كئيبًا، تزوجنا ووجدنا لأنفسنا قرية هادئة، واشترينا مزرعة صغيرة، نحن لا نحتاج للعمل حقا، فوالد كارتر يتكفل باحتياجاتنا، ويحرص ألا نحتاج لمغادرة القرية، هو يخشى أن يتعرف أحدهم إلى وجه كارتر، وعندها سيجبرنا على الانتقال، وكم سأكره هذا

لكنني ويا للمفاجئة سعيدة، وأخيرا مستقرة للمرة الأولى منذ ولدت أجدني أحيا باطمئنان رغم أنني أنام هانئة بجانب من سبب لي الأرق في سنوات حياتي الأولى.

هو لا يخلو من الغرور، لكنه أصبح أكثر هدوءً مع السنين، لا يحتك بأهل القرية التي نسكن بها إلا للضرورة، يستثمر معظم ساعاته مع ابنتينا ومعي، وساعة من الليل يختلي بنفسه على شرفة منزلنا، منشغلا بنحت قطع الخشب، حتى يصنع منها خيولا صغيرة، ودمى لطيفة لم تكن بالطبع دمى جميلة في البداية بل كانت وكأنها وحوشا مخيفة، تجعل صغيرتنا أغنيس تنخرط في بكاء صاخب، لكن مع الزمن صار محترفا في استخدام يديه مع الخشب.

- ينقصنا الحليب والخبز، لنمر على المركز التجاري قبل أن نحضر اجتماع المدرسة.

- تقصدين أن تحضرين الاجتماع، فأنا سأنتظرك هنا في سيارتي.

أرفع نظارتي وأثبت بها شعري، فقد باتت غرتي الطويلة تزعج عيناي، ألتمس منه المساندة وأنا أحتضن كتفه:

- هيا لن تجعلني ضحية الملل لوحدي هناك.

يقبل رأسي ويعود لوضعه الأصلي:

- أنت لست عادلة، فقد حضرت الثلاث اجتماعات الأخيرة لوحدي، سأنفجر إن كنت سأستمع لمحاضرة أخرى من السيدة إل.

أزفر بملل وهو يركن سيارته أمام باب المركز التجاري مخالفا النظام كالعادة.

- وجدت القوانين لكي تخترق.

يقولها بابتسامة جذابة، وهو يرفع حاجبا ويرخي الآخر.

وكأن كارتر لا زال بداخله، يظهر على السطح بين الحينة والأخرى، أمط شفتي باستياء لن يسكت أهل القرية عن محاضرتي لأسبوع كامل.

- لم يعد الأمر ظريفا.

- ليس حينما أفعلها أنا.

خرجت لأحضر الحليب والخبز فيما بقي هو ينتظرني.

دخلت المتجر، التزمت بالمسار المخطط لي لشراء الحليب، وبينما أتناول الحليب، لاح لي من بعيد شخص من الماضي، الذي يبدو سحيقا، تلك الفتاة الشقراء التي تقف محتارة بين قطع الشوكلاة المختلفة، يقف بجانبها صبيا يقاربها الطول، تجمدت لدقائق

في مكاني ثم تراجعت، واختبأت خلف هرم من الطماطم المعلبة، علي أن أتجاهلها، أشتاق إليها بشدة لكن ليس من مصلحة أي منا أن تعلم بأمري، أخطط للتراجع إلى الوراء لكن لسوء حظي موظف المتجر الشاب يفقد سيطرته على عربة التسوق المليئة بالمنتجات فترتطم بالهرم أمامي، لينهار جزئا كبيرا منها على ساقي، كيفن يلتفت إلى خلفه فيراني ويقول ببساطة: - خالة فايولت.

ألتفت تلك الصديقة القديمة، وظلت حائرة لخمس ثوان ثم هتفت وهي تتقدم نحوي وتحتضنني بلا تردد:

- يا إلهي فايولت لا أصدق ...

ثم ابتعدت عني وتأملتني جيدا

- الأخبار قالت بأنك ...

لم تستطع أن تكمل جملتها، تحشرج صوتها، وامتلأت عينيها بالدموع.

- آسفة كان من الأفضل أن اختفي لم يكن لي خيار آخرًا، أرى أنك بحال جيدة، وكيفن يبدو رائعا.

قالت كاتي:

- الدكتاتور وفى بوعده، فعل ما قال، إنه سيفعله ولم يمسنا بسوء، حتى أنه قام بزيارتنا بعد نجاح العملية.

ثم ضمتني للمرة الثانية، أوه فايولت أنا مدينة لك بحياة ابني.

ثم تراجعت، وسألت:

- كيف حالك يا فايلوت ماذا حدث لك؟

قلت لها وأنا أمسح دمعة طائشة على وجنتي:

- لا أستطيع أن أبوح لك بما يحدث لي، لكنني سعيدة يا كاتي، لدي عائلة وهم يعشقونني.

- أنا فرحة من أجلك أنت تستحقين كل السعادة في هذه الدنيا.

- شكرًا، علي أن أرحل الآن، لا يمكن أن أسمح لأحد أن يراني مع شخص من الماضي، وإلا سأجبر على الرحيل، لطفا حبيبتي احتفظي بذكراي سرا.

وغادرت المكان وأنا أترنح بين الألم، والفرح، سعيدة من أجل كيفن وبائسة لقطع تواصلي مع كاتي.

جلست بجانبه ووضعت حزام الأمان، كانت عينيّ محمرتان، بكيت كثيرا في الطريق القصير، جففت وجنتي قبل أن أدخل إلى السيارة.

- أين الحليب والخبز؟

ثم نظر لوجهي وفهم من ملامحي بأني منزعجة

- عزيزتي ماذا حدث، أأنت بخير؟

مسحت دموع وهمية، وأجبته بصوت مرتجف:

- نعم أنا بخير، أنا فقط قابلت كاتي، طبيبة عملت تحت إمرتها في السابق.

- أتمنى أن يكون كيفن بصحة جيدة.

قالها ليقع قلبي بين كاحلي، امتقع وجهي بشدة، وكدت أفقد وعيي، أنا لم أنطق باسم كيفن أو صديقتي أمام شخصيته الجديدة، لكن كارتر يعلم كل شيء عنهما،

لعله تذكر أو ربما ببساطة كان هو من يخدعنا طوال تلك الأعوام؟ إما أنه بدأ يستعيد ذاكرته، وإما أنه أكبر داهية على وجه الأرض والخيار الثاني يكاد يذيب قلبي في مكانه، خائفة أنا، هل هو سعيد معي أم أنه يخطط لانتقام بعيد المدى، كنت حمقاء عندما أحببته المرة الأولى، لكنني أصنف نفسي انتحارية حينما أحببته للمرة الثانية، بالكاد خرجت من شفاهي المرتجفة قلتها دون أن ألتفت إليه: - إنه بحال جيدة.

يداه تقبضان بقوة على المقود، إنه متوتر، يعلم باكتشافي لأمره، هل علي أن أقول شيئا أم سأزيد الطين بلة، عيناي لا تجرؤان على الالتقاء بعينيه، لا أكاد أصدق، زوجي الرائع عشت معه أجمل سنواتي، أهدى لي أغلى جوهرتين، ابنتيّ، ربما هو سعيد معي فقرر أن يتغافل عن كرهه لي، لن تكون المرة الأولى التي يتراجع فيها عن قتلي، هو لم يفعل حينما كنت بين يديه، سجينة جدرانه، فريسة سهلة بين جيش من كلاب صيده، حتما لن يفعل الآن، ونحن نملك عشرة طيبة في سيرتنا ومعجزتين جميلتين تعتمدان علينا.

- سأرافقك إلى الداخل.

لم أنتبه على توقف السيارة في مواقف المدرسة، إلا عندما قالها بنبرة قلق بصوت متحشرج، مختنق، كلماته بالكاد نجت من حنجرته: - لا أنت محق إنه دوري، لا أريد أن أحملك عبئا فوق قسمتك من الاجتماعات.

رفعت نظري إلى عيناه فوجدته بالكاد يتماسك، يتظاهر بالقوة رغم الضعف:

- ليس عبئا أبدا، أنت وهما السبب الذي أحيا من أجله.

- سأرجع معهما بعد ساعة، قبض على معصمي، وقال:

- عودي إلي يا فايولت.

تركته هناك وسط بحيرة من قلقه، لا أملك القوة في انتشاله منها، فأنا أتخبط في محيط من الخوف له أمواج هائجة وغليظة تدفعني للهرب منه، ما العمل يا إلهي؟ لا أرد التحية على أحد، فقط أحتضن طفلتيّ، وأجلس معهما في زاوية هادئة، ربما علينا الهروب منه، من مستقبلنا المجهول معه، لكن ما ذنب صغيرتيّ أن حرمتهما والدهما، سأكون غبية إن وثقت به مرة أخرى، لكن أظن إني حسمت أمري حين وافقت على الزواج منه، على أية حال سيكون من الجنون أن أقرر قلب حياتي وصغيرتي في ليلة واحدة، الهروب من دكتاتوري يستلزم التخطيط لأسابيع إن لم يكن لأشهر، رجل بسلطته السابقة حتما يمتلك العديد من المعارف الذين سينقبون عنا، ببساطة الأفضل حاليا أن أكمل حياتي معه دون نقاش الماضي معه.

عدت ومعي صغيرتيّ اللتان ارتميتا في حضن أبيهما فور رؤيتهما له، كان مبتهجا لرؤيتهما، كمن حوكم بالإعدام وأُفرج عنه في الساعة الأخيرة، متعرقةً يداه ترتجفان، يحتضنهما بقوة لعله كان يتوقع هروبي منه، بعد دقيقة قام إلي وقبل جبيني: - اشتقت إليك.

-وأنا إليك.

قلتها بسرعة، وأسرعت إلى مكاني في سيارتنا، كانت سيارتنا تسير ببطء شديد، لكني لم أمانع فالمنزل يبدو مخيفا الآن، هناك ألف حاجز يفرقنا، توقفنا أمام المنزل لتخرج أليس الفتاة المراهقة التي تجالس ابنتينا في العادة، أمسك يدي هو ليمنعني من الخروج.

- علينا أن نتحدث، اتصلت على أليس لتجالس الفتاتين لساعتين.

أردت الخروج من السيارة، شعور سيء يلفني بقسوة، وجهي يمتقع وأنا أرى فتاتّي

تخرجان لتسلما على أليس، لكنني استجبت لأمره هو لن يقتلني هكذا، بت أردد في داخلي، الطريق يضيق لندخل إلى غابة متشابكة، نصل في نهاية الطريق إلى البحيرة، المنطقة السياحية في قريتنا، لا تخلو من الزوار صيفا، أما في هذا الوقت من السنة لا تكاد تطؤها قدم إنسي، إنه المكان الذي قضينا به أجمل لحظات حياتنا، تقف السيارة قبل ضفة البحيرة بأمتار، تكاد الشمس أن تغيب، يخرج هو بعد أن يلتفت إلي: - هيا لنترجل.

خرجت وعيناي تراقبه، وهو يرجع إلى الوراء، ويخرج قطعة قماش سوداء من شنطة السيارة، ويدسها داخل معطفه، ثم يتقدم نحوي ويمسك بيدي، يقودني إلى مقدمة السيارة، فنتكئ عليها كعادتنا، يقول هو ولايزال ممسكا بيدي: - المرة الأولى التي استرجعت فيها ذاكرتي كانت بتاريخ ولادة ابنتنا الكبرى، اجتاح عقلي ألمًا مبرحا، حسبت أنه سيقتلني فقدت بعدها الوعي، استيقظت لترجع لي آخر الذكريات الممسوحة، أحسست بأنني كتلة كبيرة من الحماقة، إذ أنك خدعتني، كنت غاضبا مندفعا للانتقام، بعدها جاءني اتصال من المشفى يخبرني بأنك في حالة خطرة، وأن الجنين في خطر، كنت غاضبا، خططت لأن أخذ الطفلة، وأن أحرمك لذة أمومتك، قدت السيارة إليك كمجنون أردت أن أغيظك، وأن أطمئن عليك في وقت واحد، كنت جوش وكارتر في ذات الوقت.

لكن حين مرت ولادتك بسلام، ونظرت إلى وجهك المجهد النائم، وإلى تلك الطفلة التي ترقد في صندوق شفاف بجانبك، علمت حينها بأني أفضل أن أبقى جوش الفتى السعيد، بدلا عن كارتر الرجل الأحمق، وعندما حملت صغيرتي رأيت ملامح والدتي بها، أمي لم تمت بل ستظل حية بداخلي، وها هي روحها تلمس ابنتي لتشبهها، كيف لي أن أنتقم ممن أهدتني هذه الروح البريئة؟ قبلت جبينها مزيلًا كل إحساس سلبي

تجاهك، ذكريات العام الأول كزوجين مرت أمام عينيّ، وكم كانت حياة ذو جودة عالية، إنها حتى أفضل مما كنت أحلم به، كم كنت تعيسا، وكم أنا سعيد، كيف لي أن أعود لجحيما قد رسمته لنفسي، فيما أنت قدمت لي الجنة على طبق من ذهب، أنا آسف، نعم، السنوات الماضية عشت مع كاذب لكن كاذب محبًا لك، سعيدًا معك، ممتنا لك.

سامحيني يا فايولت فأنا أريد أن أستمر معك في هذه الحياة الطيبة، فللمرة الثالثة أنا أطلبك أن تقبلي بي دون خوف دون أية انتقامات دون الماضي الفاشل الذي بنيته بيدي.

كان حديثه مفعما بمشاعر الحب الصادقة، لم يكن عشقا فقط بل كان حبا أبويا أيضا تجاه ابنتيه،

وللمرة الأولى أرى كارتر وجوش معًا في جسد رجلٍ واحد، رجل يتحمل مسؤولية عائلته الصغيرة.

- نعم أقبل بك.

قلتها له بقناعة تامة، نعم سأعيش معه، نحن سعداء، أنا لن أرفض النعمة التي بين يدي، عائلة مطمئنة متماسكة، هذا كل ما أحتاجه اليوم لأعيش، وكأنني امتلكت العالم.

أخرج مسدسًا من قطعة القماش التي أخفاها مسبقا داخل معطفه، وصوب اتجاه البحيرة فأطلق رصاصة لتصنع صوتا مدويا أخاف الطيور التي تعشعش حولنا فحلقت بعيدا عنا، أفزعني هو بتصرفه، ما الذي يحاول أن يثبته، وافقت على البقاء معه، ماذا يريد أكثر؟ قاطعتني كلماته.

- سأثبت لك أني جادًا حبيبتي، خذي.

ناولني المسدس وصوب على قلبه، ضاغطًا بكل قوته على يديّ المرتجفتين، أربع أيد مرتجفة تقبض على مسدس واحد.

- إذا لم تصدقيني اقتليني الآن، إذا ظننت أني خطرا عليكم اقتليني، إذا أردت الهروب عني برفقة بناتنا في منتصف الليل، اقتليني لأنني لا شيء دونكم، لأني لست إلا قاتل بائس دونكم.

كفت دموعا سائلة على وجنتيه ورميت المسدس إلى قاع البحيرة، ثم عانقته لأطمئن قلبه الخائف.

- أيها الأحمق قد قلت نعم فأرضى بها.

أستطيع الشعور به مطمئنا الآن، حتما حين قال بنبرة حزن وهو يشير إلى البحيرة:

- كان مسدسٌ باهض الثمن.

ابتعدت عنه وأنا ابتسم له براحة كبيرة، وكأنني حررت من سجن كئيب.

- لنذهب إلى منزلنا.

- قبل أن نرحل كان لدي سؤال أردت أن أسألك إياه، منذ أن تذكرت كل شيء..

هل أنهيت كتاب قلعة هاول؟

- لا.

-رائع لأن هناك نسخة منه تنتظرك في المنزل منذ سنين.

النهاية